



لعبة الإنتقام

أية مصدق

رواية

لعبة الإنتقام

آية مصدق

الإهداء

إلى من منحني مظلة في يوم ممطر.

إلى من جعلني أزهر في سنين العجاف.

إلى عائلتي وقارئتي وبعض الأصدقاء الصالحين.

أهدي هذه الرواية لكم.

إلى من راهن على فشلي.

إلى من قال "أنني ضعيفة".

إلى الحاسدين وبعض الأصدقاء الطالحين.

أرمي هذه الرواية في وجوهكم.

**الحياة والموت، الحب
والكراهية، الغدر والوفاء
كل شيء مباح في**

لعبة الإنتقام

"الإنسان مؤهل دائما للغدر، فلا تثق"

يضم ابنه الميت إلى صدره وعيناه بارزتان تفيض

بمزيج مرير من الصدمة والفجيرة.

يقولون إن والده من قتله.

هنالك بعض الشكوك حول صحة هذا القول، هل سيكون

بهذه النظرات لو كان الفاعل!.

في نظراته شيء من الندم يا دميري وهذا طبيعي لو كان

الأمر غير مقصود، غير الطبيعي هو أن يفعلها قصدا

وتخلو عيناه من الندم.

_ حينها سنقول عنه وحشا وليس أبا.

_ طبعا وحياتنا لا تخلو من هذا النوع من الوحوش.

بنبرة غامضة أردف هذه الكلمات وهو ينظر إلى لوحة

"إيفان الرهيب وابنه إيفان" لرسام الروسي الشهير "إيليا

ريبين" ثم التفت إلى محدثه وأردف مبتسما:

_ دعنا الآن من ريبين وواقعيته, أين الحقيقة؟.

أجاب ديمتري وهو أشقر ذو ملامح روسية:

_ لقد أمرت بأخذها إلى سيارتك... لا تقلق لقد عملت مع

والدك طويلا.

قال الآخر بثقة :

_ و هل سمعت يوما بخيانة تأتي من عدو؟.

ألقى هذه الكلمات ثم سار إلى الباب وقبل خروجه

استوقفه الروسي:

مهلا...ماذا عنك؟

_من الواضح أنك لست مهتما بالفن فلم تلاحظ أن اللوحة

مزيفة لأن الأصلية ,تعرض في غاليري " تريتياكوف"

وهذا الأخير هو الذي اشتراها من الفنان نفسه إذ من

المنطق أن تعرض لوحة مشهورة للبيع في معرض

للتبرعات الخيرية، عليك أن توسع من معارفك الفنية يا

عزيزي دميري.

هل أحضرتني لهذا المعرض السخيف كي تخذعني؟!

_كان عليك التركيز في عيون الأب إيفان ...أخبرتكم أن

فيها شيئاً من الندم.

ثم غادر تاركا خلفه الروسي وهو يحدق في عيني الأب
في اللوحة وكانت حدقتاهما تلمع ثم ابتسم وخاطب نفسه
قائلا:

يا لك من داهية يا أركان كارا.

وصل إلى سيارته ووجد سائقه يحمل حقيبة سوداء
أخذها منه وجلس في المقعد الخلفي.

توقفت السيارة أمام المطار ونزل السائق، ولف حولها
بسرعة وفتح الباب لسيدته ثم أخرج حقيبة السفر
وقدمها إليه فأمسك أركان بمقبضها وطلب من سائقه أن
يتخلص من الحقيبة السوداء.

ثم دخل المطار وتجاوز بوابة التفتيش الأول وبعد أن تأكد
الموظف من وثائق السفر والتذكرة أعاد له جواز سفره
مع بطاقة الطائرة وتوجه لنقطة التفتيش الثانية وظلت

عيناه تتبعان بدقة الحقيبة وهي تمر بسلام تحت أجهزة

المراقبة، وتسلمها وهو يبتسم بثقة ثم توجه لصالة

المغادرة، وبينما كان جالسا في المقعد ينتظر الطائرة،

رن هاتفه فرفع السماعة لتتلقى أذنيه كل أنواع الشتم

الروسي

ثم قال بهدوء:

_ معارفك ليست محدودة في الفن فقط عزيزي ديمتري

أرى أنك لا تعلم من أكون، لو كنت تعلم لما تجرات على

التفكير في خيانتني.

ليجيب المتصل بغضب:

_ كيف تبيعني ألماسا مزيفا؟ من تظن نفسك؟.

_ ما ظننته أنت عندما وضعت المخدرات مع النقود. كنت

تعلم أنني لن أشك لأنها كانت سائلا دهنت به الحقيبة من

الداخل وبما أنني مسافر فلن أدقق طالما النقود موجودة،

كنت تريد توريطي في المطار لكنك نسيت أنني دقيق

للغاية والأهم أنني لا أثق بأحد، هذا هو أركان كارا

إلى اللقاء في الجحيم.

ثم سمع دوي انفجار ضخم وأغلق الخط وأخذت أصابعه

تعبت بلعبة سبينر وتلك الألماسات تلمع داخل دوائرها.

وصل أركان في حوالي الساعة العاشرة مساء دارا

بسيارته التي تسلمها من المطار إلى داخل القصر المظل

على الساحل الأوروبي، والذي يضم خمسة طوابق

بتصميم عريق ذو تفاصيل أنيقة تتلأل أنواره محدثنا

انعكاسا ساحر على المسبح الكبير في الجهة الشرقية من

القصر، تحيط به حديقة جميلة على مد البصر، ترك

سيارته في المرآب وخرجت عائلته لاستقباله،

كان اول من عانقه أمه صوفيا وهي سيدة خمسينية
بملامح حادة وهيئة قوية وشعرها الرمادي يضفي عليها
إطلالة ملكية ثم احتضن أخته الصغرى سارة ذات الوجه
اللطيف والعيون الكستنائية. عبس أركان لغياب شقيقه
لكنه تجاوز الأمر ودخل الجميع إلى القصر.

"الكوابيس التي نراها في منامنا أحلام وردية

مُقارَنة بما نعيشه في الواقع"

يركض عبر ممر مظلم وهو يلهث ودقات قلبه تتسارع
وحبيبات العرق تجمعت في جبينه فجأة سقط أرضا وإلتفت
خلفه فلمح ذلك الظل الطويل ينعكس في جدران الممر
وتناهى لمسامعه وت وقع أقدام يرتفع شيئا فشيئا إلى أن
ظهر.

استيقظ فجأة بنفس مضطرب ونظره مثبت إلى زاوية
في الغرفة وصدره يعلو ويهبط لقد كان الكابوس ذاته
استجمع أنفاسه ونهض من السرير وخطى بهدوء نحو

واجهه زجاجية وهو يفرك عينيه ليطرد عنهما بقايا
النعاس.

ثم عقد ذراعيه خلف ظهره ووقف بهيكله الشامخ ،
يتأمل الفراغ وقد انبسطت مدينة إسطنبول تحت قدميه، ها
قد عاد مجددا بعد شهر من إقامته في روسيا، إقامة لم
تجعله سوى أكثر برودا خاصة بعد وفاة والده وتولييه
إدارة سلسلة الفنادق المنتشرة في المدينة وخارجها وكل
هذا يعني شيئا واحدا بالنسبة إليه وهو الملل، فجأة قطع
حبل شروده اهتزاز هاتفه على الطاولة، فقطب حاجبيه
بانزعاج ثم أخذ الهاتف وفتح الخط قائلا:

_ ألم يحن الوقت لتكشف عن نفسك؟ لقد مللت حقا، لو
تفعل شيئا ما يزيل هذا الملل عني .

كان الطرف الآخر من المكالمة غارق في صمته، إلا أن
أنفاسه كانت تشي بوجوده، استغرق حوار الصمت دقائق
قبل أن يبادر المتصل المجهول بإغلاق الخط.

فزفر أركان الهواء بملل وألقى نظرة سريعة على هاتفه
الذي تتصدر مواقعه خبر موت رجل الأعمال الشهير
"ديمتري توماس" في حادث سير، نظر إلى صورته
وأردف بخسرية:

ومعارفه محدودة في القيادة أيضا. كيف كنت تتعامل مع
هؤلاء الأغبياء يا أبي؟.

ثم حول بصره إلى الساعة الجدارية التي تشير إلى
السابعة صباحًا، فذهب لينعم بحمام ساخن في غرفة سونا
كبيرة، وبعد الاستحمام، دخل إلى مستودع كبير مليء
بالثياب وربطات العنق والأحذية. وانتقى بدلة كحيلة اللون

من ماركة عالمية للبدل الرجالية، وزوج حذاء إيطالي.
وأغلق آخر أزرار قميصه أمام المرأة، ثم لف حول
معصمه ساعة ذهبية ورش عليه من عطره الباريسي
وغادر غرفته وسار في ممر طويلاً قبل أن يدخل قاعة
واسعة بأرضية رخامية لامعة ونوافذ كبيرة تطل على
الحديقة والمسبح. وفي صدر القاعة نصبت طاولة
مستطيلة الشكل، تجلس حولها عائلته، وقد انضم إليهم
شقيقه أمير ذو الجسم الرياضي والشعر البني المجعد.
يرتدي قميصاً أبيض، أول أزراره مفتوحة وبنطلوناً أسوداً
ممزقاً عند الركبتين.

جلس أركان مترأساً المائدة بكل هدوء، ثم قدمت الخادمة
ووضعت أطباق الطعام على الطاولة وانصرفت.

وبدا الجميع بتناول الإفطار، وكان الصمت سيد المكان، ما عدا صوت الملاعق وهي تضرب الأطباق، حتى قطعت الأم حبل الصمت قائلة:

_ أركان هل أخبرت سيلين بأمر الحفلة ,نهاية الأسبوع؟.
ليجيب بهدوء:

_ لا داع لخبارها من المؤكد أنها تعرف مناسبة كهذه لن تفوتها.

_ أعلم تلك الحفلة تضم أغنياء اسطنبول بالطبع ستعرف قصدت أن تأتي معا كثنائي.

لم يعلق أركان و بدا الانزعاج على وجهه
ثم توجهت الأم بالسؤال إلى أمير:

**_و أنت يا عزيزي أمير من سعيدة الحظ التي ستحظرها
معك؟_**

كاد يجيب لكن أركان أجاب مكانه بسخرية:

**_و من سيحضر حسب رأيك بالطبع إحدى فتيات الملاهي
التي يرتادها_**

رمق أمير أخاه بغضب وغادر القاعة وهو يتوعد له

وذهبت سارة نحو غرفتها لتحظر نفسها وعندما خلت

الأم بابنها سألت بنبرة جادة:

_ هل أنت وراء موت الروسي؟_

أجابها أركان:

_ غبائه من قتله لكن لا تقلقي سيدة صوفيا حتى ولو لم

يعد أبي موجود فقد ترك خلفه تلميذه... وأحيانا يفوق

التلميذ معلمه في الذكاء.

على بعد كيلومترات من هناك، في تلك العمارة القديمة في

حي شعبي، ارتفع رنين المنبه داخل غرفة في طابق

الثاني، وضعت ذراعها بشكل عشوائي على المنضدة قرب

السريير، تبحث عن ذلك المنبه اللعين الذي انتشلها من

حلمها الجميل. وعندما وجدته أمسكت به وأخرست صوته

المزعج.

ثم عادت للنوم، لكن ذلك لم يدم طويلاً. فقد أتاها صوت

أكثر ازعاجاً. ففتحت عينيها ببطء لتتشكل أمامها صورة

تلك المرأة الأربعينية بلامحها الحادة وشعرها الأسود،

الذي تتخلله بعض الخصلات البيضاء. وهي تقول في
غضب:

_ ليلى! استيقظي يا فتاة ألن تذهب للعمل اليوم؟

لترد الأخرى :

- بلى.. سأذهب.

- جيد جدًا.. أساسًا لم يعد هناك مال لننفقه منذ أن

مرضتِ وأنا أنفق من المال الذي إدخرته من التطريز.

ثم واصلت كلامها وهي تخرج من الغرفة:

_ أنا ذاهبة إلى صديقتي سلوى في الحي المجاور وسأبقى

هناك حتى الظهيرة.

أخذت العمة مليحة حقيبة يدها وارتدت معطفها ذو اللون

الأزرق الداكن، ثم غادرت الشقة. وفور خروجها ، أطلقت

ليلى تنهيدة تتم عن مشاعر مختلطة. تلك هي عمته لا
تأبه لشيء في هذه الحياة سوى النقود، حتى أنها لا تهتم
لأمرهما أبدًا إن كانت مريضة أم لا. رفعت عنها بطانيتين
سميكتين، فنظام التدفئة لا يعمل في الشقة. وخرجت من
فراشها الدافئ بتكاسل، ثم توجهت إلى الحمام، وغسلت
وجهها وضلت تحديق إلى انعكاس ملامحها في المرآة.
كانت في ريعان شبابها لكنها لم تكن تشعر بذلك. كيف
تشعر؟ وهي لم تفكر في نفسها يومًا. كانت تنظر لشعرها
الأحمر المميز منسدلاً على كتفها. لقد كان جميلاً لكنها لم
تلحظ جماله أبدًا، فلطالما شدته للخلف أما بشرتها
الشاحبة، لم تعرف مستحضرات التجميل ولا تعرف هي
كيفية استخدامها. شددت شعرها إلى الخلف على شكل ذيل
حصان، ثم عادت إلى غرفتها ووقفت أمام ذلك السرير
الذي ينام عليه من يشاركها الغرفة. ضلت تنظر إليه وقد

احتلت ثغرها ابتسامة عفوية وجلست على حافة السرير
وأخذت توقظه بلطف، لينهض وهو يفرك عينيه في كسل،
ثم قالت:

- هيا... استيقظ أيها الكسول، أنا ذاهبة لأحضر طعام
الافطار غير ملابسك بسرعة.

فتح جان أخاها الصغير ذو السبعة سنوات عينيه
الزرقاوان التي تشع براءة ثم نهض ليغير ملابسه فيما
توجهت شقيقته إلى المطبخ، شرحت بعض حبات الطماطم
وأضافتهم إلى صحن يحتوي زيتونا أسود وزبد ثم صبت
الحليب في كأس ووضعت الطعام على الطاولة الصغيرة
في المطبخ فجأة رن جرس الباب فأخفضت النار تحت
إبريق الشاي و توجهت لفتحه ظنا أن عمته نسيت شيئا

لكنها تفاجئت بوجود ذلك الخبيث مالك الشقة على الباب

أخفت امتعاضها منه وأردفت بهدوء:

-صباح الخير سيد طاهر.

ليجيب و قد قطب حاجبيه بانزعاج:

-عن أي خير تتحدثين ؟ لم تدفع ايجار الشقة لشهر

الماضي , هل أسكنك بالمجان؟

أردفت ليلى وهي تحاول كتم غيضاها:

-لم أعمل الشهر الفارط لقد كنت مريضة , سأدفع لك ما

إن أتسلم راتبي.

-من يسمع حديثك يظن أنك تعملين في شركة

عالمية، ستدفعين الايجار نهاية هذا الأسبوع .

أردفت والدهشة تملو محياها:

-كيف سأدفع لك نهاية الأسبوع؟

-هذا ليس من شأني، اطلبني أجرك مسبقا...

ثم صمت لثواني ليوصل كلامه و هو يبتسم ابتسامة

خبثة:

- وإلا يمكنك أن تدفع لي بطريقة أخرى.

- أغرب عن وجهي حالا سيصلك مالك نهاية الأسبوع.

صفت الباب في وجهه وبقيت مسندة ظهرها إليه وهي

تحاول منع دموعها من الخروج، ثم وجهت نظرها إلى

تلك الصورة المعلقة على الجدار، وكانت لشخصين

يبتسمان للكاميرا، فمسحت دموعه هربت من عيناها وذهبت

لتناول الفطور مع أخيها.

اهتز هاتف أركان معلنا قدوم رسالة قرأ محتواها سريعا

ونفض لتقفز أخته سارة من مكانها وتقول:

- أركان انتظر... هلا أوصلتني إلى الجامعة في طريقك.

نظر أركان مستغربا و سأل قائلا:

-ألن يقوم السائق بإيصالك كالعادة؟

ابتسامة بلهاء ارتسمت على ثغر الأخت وهي تحاول

اختلاق مبرر ثم أردفت بطفولية:

-لكن أريدك أن توصلني أنت...ذلك السائق لا يتحدث إنه

ممل ثم واصلت بنبرة خافتة:

- هل أنت متأكد أنه إنسان و ليس رجل ألي؟

ابتسم أخاها ووافق على اصطحابها.

ثم توجهها سويا إلى موقف القصر وكان سامر تابع أركان

المخلص وذراعه اليمين يقف بجانب سيارة سوداء

فاخرة كان ذو شعر أسود وعينان بنيتان و بشر حنطية

يرتدي بدلة رسمية ونظارات سوداء، قام بإنزالها ما إن

لمح سارة محبوبته التي يحبها منذ سنوات وهي تبادله
الحب أيضا، ألقى التحية على سيده وفتح لهما الباب
الخلفي فيما جلس هو إلى المقود وشغل المحرك وانطلقت
السيارة.

غيرت ليلى ثيابها وارتدت سروال جينز أزرق و قميص
مخطط، أضافت إليه سترة صوفية، وانتعلت حذاءها
البسيط وأخذت من درج الطاولة بعض الأوراق النقدية. ثم
حملت حقيبتها وكان جان ينتظرها أمام الباب، أمسكت
بيده وغادرت الشقة بسرعة فقد تأخرت عن العمل، نزلت
السلم المهترئ بسرعة حتى كاد جان يسقط، وهي تجره
خلفها. وما إن خرجت لفح وجهها نسيم بارد فادثرت
بكنزتها وانتظرت إلى أن قدمت حافلة مركز العناية
بأطفال التوحد وظلت تراقب أخاها حتى ركب الحافلة
ولوحت له بيدها مبتسمة، ثم توجهت بسرعة إلى موقف

العمارة، وركبت درجاتها النارية ذات اللون الزهري
ووضعت الخوذة على رأسها ثم انطلقت نحو عملها.

"من بين كل الصدف، أعشق تلك الصدفة التي

جمعتني بك"

سحب رمادية تهبط على أسطح المباني, نسائم خريفية

تداعب أوراق أشجار البلوط المنتشرة في الحدائق

العامة, وناطحات السحاب تنتصب في الأفق كالأشباح

تتخللها سلسلة الطرقات المعقدة المكتضة بالسيارات

و الحافلات التي تتدفق من كل مكان، وتغص شوارعها
بالأرجل المتسارعة، فالكل يمارس عاداته الصباحية من
عمل و دراسة في رتابة حارصينا على أن لا يتداركهم
الوقت. كانت حركة المرور شبه مشلولة بسبب الاكتظاظ
فأوقف سامر السيارة ينتظر مجال للعبور بينما أردف
أركان :

-من الجيد أن جامعة سارة ليست في وسط المدينة وإلا
تأخرت عن محاضرتها.

وافقه سامر بإيماءة من رأسه وقد تمنى في سره لو
كانت جامعتها في قلب المدينة ليستغل بعض الدقائق
لنظر إليها والتيه في سحر عينيها فجأة تعالي صوت
التزمير خلفهما فنظر سامر من مرآة السيارة ليجد فتاة
تركب دراجة نارية حينها أردف أركان:

-من هذا الذي لم يمنحه الله الصبر؟

ضحك سامر و أجاب:

-تقصد لم يمنحها.

- و فتاة أيضا ...مثير للاهتمام.

لغنت ليلي السيارة التي وقفت عائقا أمامها وجعلتها تتأخر

عن عملها فلم تجد حل سوى الذهاب إل ى تلك سيارة

السوداء بنوافذ المظلمة، طرقت النافذة الخلفية برفق وبعد

لحظات قام الراكب بانزلها وكان رجلا كهلا في الخمسين

من عمره، فابتسمت ليلي و قالت باحترام :

-عفوا سيدي هل يمكن أن تقول لسائق أن يبعد السيارة

قليلا إلى اليمين لتمر دراجتي؟ لقد تأخرت عن عملي .

ليجيبها بلطف:

-حسنا يا ابنتي.

-شكرا جزيلا.

شعر أركان بالملل وأنزل نافذة السيارة، فلمح فتاة ذات

شعر أحمر مميز، كانت تولي ظهرها ناحية إحدى

السيارات. أمعن النظر فيها لعله يرى وجهها، وعندما

أوشكت أن تلتفت، شغل سامر محرك السيارة بعد أن

تحركت الحافلة أمامه وانطلق نحو مقر العمل.

وصلت ليلي إلى فندق فخم يرتفع إلى خمسة عشر طابقاً

بواجهة زجاجية تعكس أشعة الشمس. فركنت دراجتها

في الموقف الخاص بالموظفين والذي يقع بالمدخل

الجانبى للفندق، وعندما همت بالدخول، تفتنت لعدم

وجود هاتفها في جيب معطفها. فعادت تبحث عنه إلى أن

لمحته ملقى في الشارع أمام المدخل الرئيسي. لقد سقط

منها عندما أوقفت دراجتها. أسرعت إليه، لكن بعد فوات

الأوان، إذ انكسر تحت عجلة سيارة. قدمت توا وظلت

ليلى تنظر إلى هاتفها بحزن. فلم تكن تملك سواه.

ثم لمحت حذاءً أسودًا لامعًا يثأ الأرض. فرفعت بصرها

والتقت أعينهما. كان ينظر بمزيج من الفضول والبرود.

أما هي، فلم تستطع إخفاء نظارات الإعجاب. استمر ذلك

للحظات، ثم تداركت ليلي نفسها وتقدمت نحو الشاب

أمامها وهي تقول مشيرة إلى هاتفها:

لماذا كسرت هاتفني؟ هل تعلم كم عملت لأشترتيه؟.

ألقي الشاب نظرة جانبية على الهاتف المكسور تحت

عجلة سيارته، ثم قال بسخرية:

ليتك لم تتعبي نفسك من أجل خردة مثله.

ماذا تقصد بخردة؟.

طريقة مبتكرة لربح المال، أحترم ذكائك.

لم تفهم ليلي ما يقصده، لكن الأمر اتضح أمامها عندما
أخرج من جيبه أوراقاً مالية واقترب منها وسحب يدها ثم
وضع المال في كفها قائلاً:

**_خذي هذا المال واشتري هاتف يناسب العصر وليس
قطعة أثرية كالذي كنت تملكينه والبقية اشتري بهم ثياب
جميلة._**

ثم ختم كلامه بابتسامة ساخرة ودخل الفندق، وخلفه شاب
آخر كان يتابع الأحداث بصمت. أما ليلي، فقد شعرت
بالأسف الشديد على نفسها، صاحب العمارة والآن هذا
الشاب يهينها لأنها فتاة فقيرة. فتجمعت الدموع في
عينيها ومسحتها بسرعة، ثم تغيرت نظرتها وأسرعت إلى
الداخل وهي تخاطب نفسها بغضب:

_ لا أحد يحق له أن يهينني.

كان المكان مزدحمًا بالحرفاء والموظفين الذين كانوا
يبتعدون عن طريق ذلك الشاب، وما إن رآته ليلى حتى
صرخت بأعلى صوتها:

_ أنت، انتظري!.

فالتفت الشاب رافعاً حاجبيه باستغراب ينظر إليها وهي
تتقدم نحوه في غضب وترمي المال على وجهه، لتطير
الأوراق النقدية في الهواء وتتساقط عليه وسط دهشة
الحضور الذين كانوا يتربصون ردة فعله لكنه اكتفى بالنظر
إليها وابتسم، ثم ذهب وتعالى الهمهمات من خلفه.
أسرعت موظفة الاستقبال إلى ليلى وأردفت بذعر:

_ هل جنت يا فتاة؟ ألا تعلمين من يكون ذلك الشاب؟

_ يستحق ذلك... ثم من يكون هل هو مدير الفندق مثلاً؟.

**نعم هو كذلك حقا, إنه مدير الفندق الجديد أركان كارا
لقد عاد من السفر.**

**صرخت ليلى "ماذا" ثم لعنت حظها وبدأت تفكر في ماذا
ستفعل بعد أن يفصلها من العمل.**

**دلف أركان إلى مكتبه المرتب بعناية وجلس على كرسيه
ذو الجلد الأسود الناعم أما سامر فقد تبعه بعد ما تحدث
قليلا مع بعض الموظفين و جلس مقابله, أخذ أركان
يعبث. بلعبة سبينر وهو يبتسم ثم أردف يخاطب نفسه:**

تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر, مثيرة للاهتمام حقا.

ثم أضاف موجهها كلامه إلى سامر:

إذا ما الأخبار يا سامر؟

_ كل شيء على ما يرام يا سيدي, هذا الفندق هو الأعرق

بين سلسلة فنادق كارا لذلك يقبل عليها الناس بكثرة.

_ جيد إذن لنجعل الموظفين يقومون بعملهم ونقوم نحن

بأعمالنا.

مر اليوم بدون مشاكل وأنهت ليلى عملها في التنظيف

الغرف دون أن يدعوها المدير لمكتبه فشعرت بنوع من

الارتياح وغادرت الفندق نحو البحر متنفسها الوحيد من

ضغوطات الحياة.

"وعلى سبيل السعادة، يرزقك الله برفيق

العمر"

النسيم يتلاعب بخصلات شعرها الناري، الأمواج تلطم
الصخور و النوارس تعانق البحر و تغني له، كانت تجلس
على مقعد في الكورنيش، تغرق عيناها في الفضاء وتمر
من أمامها الذكريات عندما كانت طفلة سعيدة وكانت أمها
موجودة، لكن طفولتها الوردية سرعان ما تحولت إلى
رماد عندما ماتت أمها وسافر والدها، ووضعتها زوجة

أبيها أمام ذلك الميتم، لا تستطيع نسيان ما عانت فيه
خاصة تلك الحادثة. مسحت دموعها عندما لمحت
صديقتها سارة قادمة، وكانت فتاة بشخصية مرحة وقوية
أقصر من ليلى بقليل ذات شعر كستنائي قصير وعيون
بنية تسكن في شقة التي بجانب شقتها، ورغم أن والدا
مايا ممثلين مشهورين لكنها فضلت الاعتماد على نفسها
و العيش وحدها و لم ترضى أن تكون حياتها مجرد سفر
من مكان إلى آخر فكانت تكتف بالاتصال بهما بين حين
وآخر لتخبرهما أنها بخير.

عانقت الصديقتين بعضهما ثم نظرت مايا بشك وسألت:

هل حصل شيء ما؟

ابتسمت ليلى و أجابت:

مهلا..مهلا لنجلس أولا و سأخبرك بكل شيء.

ثم روت ليلى ما حدث لمايا لتردف الأخيرة:

_يا لها من بداية يوم مشوقة, من المؤكد أنك جذبت

انتباهه.

لتجيب ليلى:

_حسنا مايا يكفينا حديثا عن هذا الموضوع, عليا شراء

هاتف جديد .

_لدي هاتف إضافي، صحيح أنه قديم لكنه جيد.

_لا أستطيع قبوله.

_ليلى نحن صديقاتان، ما معنى الصداقة لو لم نساعد

بعضنا، بامكانك اعادته لي عندما تشتريين واحد جديد.

ابتسمت ليلى وعانقت صديقتها.

عندما بهت لون السماء واصطبغت الأفق بحمرة دموية،
عادت ليلي إلى الشقة وحدها فقد ذهبت مايا لشراء بعض
الحاجيات. صعدت السلالم المهترئة بتعب، ثم فتحت الباب
ووجدت عمها مليحة تصرخ في وجه أخيها وتمسك بياقة
قميصه، فأسرعت إليها ودفعتها بعيدًا وحضنت أباها
وهي تهده، بينما كانت العمة تصرخ وتتدعي أن ساقها
كسرت فغضبت ليلي واطفح كيلها، والتفتت إلى عمها
وهي تصرخ قائلة:

ـ يكفي! إياك أن تلمسي أخي مجددًا، أقتلك هل فهمت؟
خافت العمة من نظرات الأخت لكنها نهضت وقالت بمكر:

ـ تصرخين عليا إذن... اخرجي من الشقة، أنت وأخوك
الأبكم، هذا هيا.

اقتربت ليلي منها وأردفت وهي تنظر إلى عيونها بكره.

أساساً لن نبقي دقيقة واحدة. كم تشبهين أخاك، ماكر
يركض خلف مصالحه ولا يهمله أحد، حتى أولئك الذين من
لحمه ودمه.

ثم ذهبت لتجمع أشياءها، لكن كلمات عمته أوقفها
قائلة:-

أخي هو والدك يا ليلي، ولا تستطيعين تغيير هذه
الحقيقة مهما فعلت، حتى لو غيرت كنييتك.

لم تجبها وسحبت أياها إلى غرفتها وأخرجت من تحت
قميصها قلادة عليها شكل فراشة، وظلت تنظر إليها
وهي تحاول منع تلك المياه المالحة من الخروج ثم جمعت
حاجبتها وذهبت إلى عند مايا.

وفي مكان اخر دلف أركان إلى غرفته التي غشتها سمرة
قائمة، ضغط على زر الإنارة، وألقى مفاتيح سيارته على

المنضدة واستلقى على فراشه يستنجد النوم لكنه لم يظفر
به فقد بدأت جيوش الذكريات هجومها عليه، كان يعلم
جيدا أنه يجب أن ينسى الماضي، ويواصل حياته بشكل
طبيعي لكن شعور غريب يخبره أن الماضي سيعود مجددا
خاصة تلك الفتاة التي قابلها اليوم، إنها مؤلفة تذكره بها
كثيرا، طرد تلك الأفكار من رأسه وتناول حبوب النوم
وأغمض عينيه مستسلما لعالم الأحلام.

بدأت خيوط الفجر بالبزوغ. واستيقظت ليلى وما زالت
تتملكها رغبة في النوم، نظرت إلى أخيها الذي لا يزال
نائماً لأن اليوم عطلة، لكن ليس بالنسبة لها. غيّرت ثيابها
ثم خرجت وأغلقت الباب ببطء لكي لا توقظ مايا. في
الخارج أقت نظرة على الشقة التي طردت منها ليلة
البارحة، وتفاجأت بوجود إعلان للبيع عليه رقم عمته ثم
لمحت صاحب العمارة الركيك واندفعت إليه قائلة:

_ سيد شاهين، لماذا عمتي تعرض الشقة للبيع؟ أليست ملكك؟

ليجيب بعجلة وهو يحاول التملص من الحديث معها:

_ ليست ملكي، لقد اشترتها عمك منذ زمن، لكنها أصرت أن أخذ منك الأجار.

_ يعني أنكما كنتما تخدعاني كل هذه الفترة.

_ عن أي خداع تتحدثين؟ اذهبي واسألي عمك الجشعة تلك.

أردف هذه الكلمات وغادرا مهرولا. أما ليلى فقد كتمت غيظها واتجهت نحو عملها.

في الأثناء، دخلت سيارة أركان، حي عتيق، طوى الزمن
من عمره سنين ذو أزقة ضيقة وقد أصاب الصدء أبواب
منازله ودكاكينه التي استحوذته، فهذا دكان أثاث وتلك
البقالة والآخر حلاق، وأما الذي في آخر الزقاق دكان
الخياط. كما انتشرت المقاهي هنا وهناك ورغم قدم هذا
الحي إلا أنه لا يزال صامدا أمام الحداثة وبقي محافظا
على تلك البساطة والأصالة، فمإن يحل الصباح حتى
تنفتح أبواب المنازل على مصارعها وتتبادل التحيات بين
الجيران، وتتردد أصوات الباعة المتجولين من غير
إنقطاع، ثم يؤذن للأطفال بالخروج ويتحول الحي إلى
لوحة مليئة بالحياة.

توغلت السيارة بصعوبة بين دروب الحي الضيقة لتستقر
أمام أحد الدكاكين، كتب على واجهته الخشبية "دكان لبيع
الأنتيكا"، نزل أركان من سيارته لتستوطن شفثيه

إبتسامة عفوية ثم خرج رجل يناهز الستين من عمره
متوسط القامة رمادي الشعر ذو لحية كثيفة، رسم العمر
على وجهه بعض التجاعيد، كان كهلا متواضعا لا تفارق
الابتسامة شفثيه الغليظتين ما إن رأى أركان حتى رحب
بضيفه أيما ترحيب وعانقه بشدة ثم قال بلهجة عتاب:

لماذا لم تزرني أيها الولد؟ لقد اشتقت إليك كثيرا.

ليرد أركان مبتسما:

أسف يا عم سعيد، كنت مشغولا.

حسنا حسنا، هيا أدخل سأحضر الشاي فورا.

كان دكان العم سعيد يشبه المتحف فقد كانت التحف
القديمة منصوبة على الرفوف بإتقان و في أحد جوانبه
توجد مكتبة صغيرة بها كتب قديمة ملأتها أغبرت الدهر
أما الجدار فقد تزين بصور ذات اللونين الأبيض والأسود

لمشاهير و أعلام من زمنه، جلس أركان على أريكة
صغيرة أمامها طاولة مستديرة الشكل ثم جاء العم سعيد
بكأسين من الشاي أحضرهم من المقهى المقابل و قدم
كأسا لضيفه ثم أتى بكرسي و جلس أمامه و قال بعد أن
إرتشف قليل من الشاي :

_ إذا كيف حالك ؟ _

رد ركان هائما:

_ أنا بخير... الحمد لله _

ثم أضاف و هو يشئت ناضريه في أرجاء المكان :

"ألم تسئم من هذا المحل القديم و من قطع الخردة التي لا

تصلح في زمننا هذا.... إذا أردت أشتري لك غيره

وأزودك بتحف وكتب جديدة تواكب العصر... ما رأيك؟

أجاب العم مبتسماً:

_شكراً يا بني لكن هذه التي تقول عنها خردة لها قيمة

كبيرة عندي و أنا مرتاح لهذا المحل فرغم بساطته إلا

أنني أرى فيه شبابي ولا أريد تغييره.

_لا تفهمني خطأ يا عم، أردت فقط المساعدة.

_أعلم.. هيا دعك مني الآن، ماذا فعلت في ذلك الأمر، هل

عرفت هوية المتصل؟.

أردف أركان و قد اعترته علامات الغضب :

_لا شئ يذكر.

_إذا ماذا ستفعل الآن؟.

_سأنتظر. سيظهر من جحره عاجلاً أم أجلاً للبحث عن

طعامه.

تريث يا بني هناك مقولة أحبها تقول أنه " عند قدوم
الفيضان يأكل السمك النمل و عندما يحصل الجفاف النمل
هو من يأكل السمك" دائما هناك فرص للجميع فانتظر
دورك وإياك والتهور.
ابتسم أركان وارتشف الشاي مع عمه سعيد في هدوء،
وكان الزمن قد توقف في هذا العالم الصغير المليء
بالأشياء القديمة، لكن فجأة شعر أركان بحركة مشبوهة
خارج الدكان فنظر عبر النافذة ليجد مجموعة من الرجال
في سيارة سوداء يشهرون أسلحتهم نحوهم ليلقي
بالكأس بعيدا ويرتمي على العم سعيد يحميه من وابل
الرصاص الذي دمر واجهة المحل وكسر التحف وأسقط
الصور وفي الخارج عمت صيحات الفرع الشارع
المزدحم، وهرع الناس للاختباء. ثم رحل المسلحون
تاركين خلفهم الفوضى والذعر ليركض أركان خلف

السيارة لكنه لم يستطع اللحاق بها فاشتعلت عيناه غضبا
ورغبة في الانتقام، وصرخ صرخة مدوية هزت المكان،
ثم رن هاتفه وعندما رفع السماعة، اتسعت عيناه صدمة
وأسرع نحو سيارته.

انتقلت ليلى إلى تنظيف الأرضية بعد أن انتهت من ترتيب
الغرفة وكانت تنظف الرخام بعصبية وهي تفكر في خداع
عمتها لها كل هذه السنوات ثم تفقدت الوقت في ساعة
يدها إنها العاشرة صباحاً، عليها أن تنهي تنظيف الغرفة
الأخيرة كي لا تفوتها الحافلة فقد باعت دراجتها على
الإنترنت وسيأتي الشاري لرؤيتها أطلقت تنهيدة طويلة،
ثم توجهت إلى الغرفة الأخيرة في آخر الرواق الموجودة
في الطابق الخامس فمررت بطاقة الدخول وفتحت الباب
للتسمر مكانها وهي تنظر إلى رجل يطل عبر النافذة
المفتوحة، اقتربت منه ولم يلحظ وجودها، فقد صرف كل

انتباهه إلى الأسفل، حتى سمع صراخها بجانبه وهي ترى
ما يراه من النافذة الأخرى، فتاة ملقاة على إسمنت
الشارع غارقة في دمائها أسرع نحوها وأحكم قبضته على
فمها، ثم سحبها إلى غرفة أخرى وأغلق الباب خلفه.
لم تستوعب ليلي ما حصل وظلت ترمقه بمزيج من
الخوف والكره وفوهة السلاح أمام عينيها مباشرة، ثم
صرخت:

_ لماذا قتلتها؟ هل يقتل المدير موظفيه؟ من المستحيل أن
تكون بشرًا، أنت وحش حقيقي.

ليصرخ وقد تغيرت ملامحه وارتعشت يداها.

_ اختفى من أمامي حالا، ارحلي.

فأسرعت إلى الباب وقبل أن تغادر، أمسك بذراعها وهمس
في أذنها:

_ ستتسين كل ما رأيته يا ذات الشعر الأحمر، وإلا سترين
كيف يكون الوحش الحقيقي.

غادرت الفندق وهي تشيح بنظرها عن الجثة التي اجتمع
عليها حشد من الناس وتحاول نسيان ما رآته، تتصارع
داخلها مشاعر الخوف وعذاب الضمير، فيما وصل رجال
الشرطة أمام الفندق وقاموا بإبعاد الفضوليين عن موقع
الحادثة، ثم قدمت سيارة الاسعاف بنعيقها المزعج
وتوقفت أمام الجثة الهامدة، خرج طاقم طبي لم يجدوا
طائلا من تدخلهم فقاموا بتغطيتها بلحاف أبيض ثم
وضعوها على الناقلة وأدخلوها السيارة، لتطلق نعيقها من
جديد نحو المستشفى وخرج أركان وظل ينظر إلى سيارة
الاسعاف وهي تتورى خلف الحشد.

عندما ابتعدت ليلى عن الفندق أخرجت قلادتها من تحت
سترتها وظلت تنظر إليها شاردة الذهن، كأنها تستمد منها
قوتها، حتى لمحت تلك اليد الضخمة تمسك بها وتقتلعها
بعنف من رقبتها، ثم فر اللص بدراجته النارية، لقد كان
يتبعها منذ خروجها من الفندق لكنها لم تنتبه إليه
صرخت ليلى وسط المارة، "لص، لص! لقد سرق
قلادتي."

لكن لا أحد أعارها إنتباهه فيكفي النظر إلى حالتها ليعلموا
أن ما سرقه ليس بالشيء الثمين، لم تفكر ليلى بلحاق به
ركضاً على الأقدام، وسيضيع عنها لو انتظرت سيارة
أجرة ولم يكن أمامها خيار سوى الوقوف أمام تلك
السيارة السوداء التي لم تجد غيرها أقرب منها في الوقت

الحاضر وركضت إليها وطلبت من صاحبها أن يقلها لحالة
مستعجلة ففتح لها الباب وبدأت المطاردة.

_ لماذا تتبعين ذلك الرجل هل هو حبيبك؟. أردف الشاب

صاحب السيارة

لترد ليلى بحدة بسبب تطفله:

_ وهل أبدو لك فتاة تلاحق حبيبها.

_ رائع.

استغربت ليلى من طريقة كلامه لكنها اكتفت بالصمت

لأنها في حاجة إليه

وصل اللص إلى حي فقير ودخل إلى زقاق مقفر وتبعته

السيارة ووقفت أمام مدخل الزقاق نزلت ليلى بسرعة

ونسيت أن تشكر موصلها

ركضت خلف اللص ثم صرخت:

قف مكانك أيها اللص.

ظن الرجل أنها شرطية فرفع يديه و التفت ببطءٍ إليها

وعندما تعرف إليها ابتسم قائلاً:

يا لك من فتاة شجاعة لحقتني إلى هنا لكنك غبية لأنك

أتيت وحدك و لم تبغي الشرطة هيا اذهبي من هنا .

لكن ليلى تحدته

ليس قبل أن أخذ قلادتي.

لا تجعليني أغير اختصاصي من السرقة إلى القتل،

اغربي عن وجهي.

لكنها لم تتحرك من مكانها و أبدت شجاعة كاذبة رغم أنها

تشعر بالخوف

حينها تقدم إليها الرجل و بدت ملامحه أكثر رعبا
والندبة تحت عينه اليسرى أكثر وضوح لدى ليلى ثم
تفحصها بنظرات خبيثة

"مرحبا"

جاء صوت قطع لحظة الرعب فالتفتت ليلى إلى مصدر
الصوت، وتفاجأت بأن الشاب الذي أوصلها لم يغادر كما
ظنت تقدم بخطى ثابتة وقال بهدوء:

تلك الفتاة لي, أحتاجها في مسألة مهمة.

حل الصمت لبرهة من الزمن ثم صرخ اللص:

_ خذها و ارحل من هنا هيا.

انهارت ليلى و دمعت عيناها و هي تردد

"قلادتي"

سحب الشاب ليلى من ذراعها، أدخلها السيارة وأغلق الباب ثم عاد إلى اللص تحدثا لدقائق ثم قفل راجعا وركب السيارة و قبل أن يشغل المحرك، أخرج القلادة من جيبه و قدمها إليها ثم سألها :

_ هل هذه القلادة الرخيصة غالية لديك لهذه الدرجة؟

لتجيبه:

_ نعم لأنها من شخص عزيز.

شكرته و همت بالنزول لكنه أمسك بذراعها و قال

_ انتظري، لقد دفعت مبلغا كبيرا مقابل القلادة و عليك أن

تدفعي دينك.

_ دين! ماذا تقصد؟

_ ستعرفين عند ما نصل... بالمناسبة ما اسمك.

"ليلي"

وقد تلتقي بأحد، يسرقك من عالمك ويأخذك
لعالمه، لكن إياك أن تنسى معالم عالمك."

ظلت تفكر في حل للهروب من الرجل الغريب الذي يجلس
بجانباها. لقد دفع مقابل قلايتها كل ذلك المال من
المستحيل أن يتركها تذهب بسهولة. غص حلقها وغامت
عيناها وهي تفكر بسيناريوهات مخيفة، ثم أدركت عندما

تطلعت إلى نافذة السيارة أنها دخلت منطقة راقية. فقد كانت صفوف المنازل عالية ومنظمة، ليس كالببوت العشوائية المتكدسة في حيها. الأشجار المتناسقة تحف الشوارع، ولم تشعر حتى بالسيارة تختض نظرًا لاستقامة الطريق وخلوه من الأحجار والمطبات. ثم وصلت إلى سلسلة متتالية من البناءات الضخمة ذات الواجهات الزجاجية اللامعة، تنوعت بين مطاعم ومتاحف ومراكز تسوق وصالات سينما. لقد كانت هذه المنطقة التي تجهل اسمها مليئة بالسياح ونخبة المجتمع التركي. إنها قلب إسطنبول النابض بالحياة.

توقفت السيارة أمام مجمع تجاري فاخر، تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الحي الذي تسكن فيه، إن لم تكن أكثر. يضم العديد من المتاجر والمقاهي والمطاعم. نزل الشاب وتبعته ليلي بارتباك وخوف إلى أحد محلات المجمع

التجاري المحتشد بالجموع. كان محلاً ضخماً ذا تصميم داخلي فخم، كل شيء داخله شديد المعان: الأرضية والواجهات، ملابس عالية علقت على الموديلات، حقائب يد وأحذية فاخرة، وموسيقى هادئة تنبعث في المكان. ظلت ترمق كل ما وصل إليه نظرها في إعجاب حتى أحست بيد مرافقها تسحبها إلى السلم الكهربائي الذي كانت تخشاه. لكنها لم تكن تريد أن تلتفت الأنظار، يكفي أن ملابسها أكثر من العادية مقارنة بهذا المكان. وهؤلاء الناس. ثم وجدت نفسها أمام سيدة أنيقة استقبلتهما بابتسامة. ظنت ليلي لوهلة أنها تبتسم لها، لكن اتضح أنها موجهة إلى مرافقها. ثم أردفت السيدة بلطف:

سعيدة برؤيتك سيد أمير، كيف أستطيع خدمتك؟.

أشار أمير إلى ليلى وقال بسخرية:

هل تظنين أن هناك أمل؟.

لتجيبه والابتسامة لم تفارقها:

_الأمّل دائماً موجود، لدينا كل ما نحتاجه هنا لتصبح

أميرة._

حسناً أيتها الساحرة، ألقى عليها تعويذتك وسأعود بعد

ساعتين لأصطحب أميرتي. لم تفهم ليلى شيئاً مما قاله

لكنها استسلمت للسيدة وذهبت خلفها. مرت أولاً بصالون

التجميل، ثم توجهت لاختيار الثوب.

بعد ساعتين، عاد أمير إلى السيدة التي كانت تدعى

مادلين والتي تملك جناحاً خاصاً بها في المحل مقسماً بين

صالون تجميل وغرفة واسعة. علقت فيها الفساتين

الجميلة. دخل إليها أمير وجلس على الأريكة ينتظر. وفي

الداخل لم تصدق ليلي أنها الفتاة التي تقف أمامها في
المرآة. كانت المرة الأولى التي ترى نفسها بهذا الجمال
والرقة. ثم طلبت منها السيدة مادلين الخروج. وفي
الأثناء كان يعبث بهاتفه حتى تنهى إلى مسامعه صوت
وقع كعبها الذي لم يكن عالياً جداً حتى تتمكن من المشي
به. رفع عينيه ناحية ليلي وتفاجأ بجمالها. كانت ترتدي
ثوباً طويلاً بلا أكمام من قماش الساتان الذهبي، منخفض
الصدر قليلاً، مع قفازات سوداء طويلة تصل حتى
كوعها. صفت شعرها بطريقة بسيطة لكنها جميلة. تزين
وجهها بمكياج خفيف وجعلها قناع العيون التنكري
المصنوع من الدانتيل الأسود. تبدو ساحرة. تجاوز أمير
دهشته وقال مبتسماً:

_ عمل رائع يا سيدة مادلين، علمت أنني أتيت للعنوان

الصحيح.

ابتسمت السيدة لمدحه ثم أمسكت بيد ليلى وأردف:

_ هيا يا أيتها الأميرة، لنذهب إلى حفلة أغنياء إسطنبول.

ركبت معه السيارة وقد أعلنت السماء أن الظلام سيحل

ضيفاً على المدينة قريباً. طلبت ليلى من أمير إجراء

مكالمة ضرورية، فوافق واتصلت بمايا وأخبرتها أنها

ستأخر في العودة وطلبت منها الاعتناء بجان في غيابها

وأقفلت الخط سريعاً هروباً من أسئلة صديقتها الفضولية.

بعد حوالي نصف ساعة، أبطأت السيارة وانعطفت عبر

بوابة كبيرة ثم سلكت طريقاً محفوفاً بالأشجار. لمحت ليلى

أنوار فيلا ضخمة بخمسة طوابق وسمعت الموسيقى.

وقفت السيارة والتفت أمير إليها وقال وهو ينظر في

عينيها:

_ هل أنت مستعدة لخطف أنظار الجميع؟.

ثم حول نظره إلى رقبته الخالية وأضاف:

كدت أنسى.

مد يده إلى المقعد الخلفي والتقط علبة حمراء فتحها
ولاح عقد براق من الألماس. أخذه ولفه على رقبة ليلي
التي لم تكن تصدق كل ما يحدث. كأنها في حلم. ألقى
عليها نظرة رضا. ارتدى قناعه التنكري الفضي ونزل.
فتح لها الباب. ظلت ساكنة للحظة ثم أمسكت يده الممدودة
إليها وقادها عبر البهو إلى قاعة واسعة بأرضية رخامية
ملئية برجال ونساء بملابس أنيقة.

وفور دخولها، اتجهت كل الأنظار إليها، واختلفت بين
نظرات الحسد والإعجاب. كما ارتفعت الأحاديث الجانبية.
أحست ليلي بحرارة في وجهها وارتعشت قدماها، لم تكن
يوما محط اهتمام هذه الليلة.

ثم قطع حبل شرودها أمير، الذي قال وهو ينظر إلى
الخارج حيث الطاولة التي يقف حولها أركان والبقية
بجانب المسبح:

_ انظري هناك ذلك الشاب الذي يرتدي بذلة سوداء. هو
أركان كارا، رجل أعمال غني ومغرور. مهمتنا يا عزيزتي
أن نثير غيظه.

تسارعت دقات قلبها ما إن لمحتة وحاولت التملص من يد
أمير، لكنه سحبها إلى هناك ولم تستطع الهرب ولا حتى
أن تخبره بحقيقة أركان، الوحشية الذي يقتل في الصباح
فتاة بريئة وفي الليل يحتفل.

كان أول من لاحظ وجود ليلي سيلين التي تريد الزواج من
أركان، وتعرف نفسها للناس على أنها حبيبته. وهي فتاة
شقراء، ذات قوام ممشوق، ترتدي ثوباً وردياً قصيراً،

وقناعاً من نفس اللون. وكانت ترمقها بحسد. ثم صوفيا
التي نظرت إلى رفيقة ابنها الجديدة برضا تام. وكان آخر
من رآها أركان، وكان موليا ظهره. وعندما التفت نظر
إليها بدهشة، فلم يتوقع وجودها في الحفل، وخاصة إلى
جانب أخيه. ثم إستفاق من دهشته عندما وقف أمير
وفتاته أمامه، سلم على الجميع، وقال مشيراً إلى
الحسنة بجانبه:

ليلى، حبيبتى.

صدمت ليلي ونظرت إلى أمير بحيرة، لكنه ابتسم إليها،
وكأنه يطلب أن تشاركه اللعبة. فابتسمت هي الأخرى
بلطف ورحبت بها الأم صوفيا. وتعمدت دارين أن
تتجاهلها وأخذت أركان بعيداً عنهم.

تحدثت ليلي مع السيدة صوفيا، التي كانت تلقي عليها
سيلاً من الأسئلة عن اسمها الكامل وعائلتها وعمل
والدها. وكان أمير ينقذها في كل مرة، إلى أن سحبها إلى
الداخل، ودعاها إلى رقصة. احمرت وجنتا ليلي، فلم
ترقص مع شاب حد اللحظة اقترب منها وحوط خصرها
بذراعه. وأمسكت هي يده الأخرى، وبدأ الرقص وسط
إعجاب الحضور. كما سحبت دارين أركان إلى وسط
القاعة، وقد وافق على الرقصة بعد إلحاحها. رقص
الإخوة، كلٌ برفقة فتاته، وهما يرمقان بعضهما بتحدي.
تعهد أمير جعل ليلي تدور حول نفسها في اللحظة التي
فعل فيها أركان ذلك. وأمسك بدارين ليراقصها بينما وقعت
ليلى بين يدي أركان. كانت ستسحب من الرقصة لكنه
أمسك بيدها وضغط على خصرها وراقصها. كان قريباً
منها لدرجة حددت الاختلاف في لونه، لم يكن يشبه

شقيقه أبداً. كان أمير بالنسبة لها أكثر حيوية ومرحاً، أما

هذا الذي يقف بجانبه، كان أكثر هدوءاً وغموضاً.

ثم سألتها أركان ببرود وهو يهمس في أذنها:

ما الذي تفعلينه هنا يا ذات الشعر الأحمر؟.

أجابت ليلى بتحد:

يجب أن تطرح هذا السؤال على نفسك، فأنا لم أقتل فتاة

في الصباح.

تفاجأ من جرأتها في الرد وأضاف:

أرى أنك لا تخافين مني بصفة قاتل كما تقولين.

لن أخاف من شخص مثلك، لأن خوفي منك سيزيد من

بطشك.

**_يكفي هراء! كم تريدون من المال مقابل صمتك وابتعادك
عن أخي؟._**

ماذا، هل هو أخوك حقًا؟.

**_لا تتصرفي وكأنك لا تعلمين هذا، لقد تعمدت التقرب منه
لضغط علي. أهنئك على سرعتك، لم تضعي ولو دقيقة.
والآن، أعطيني رقمًا معينًا، وسأرسله إلى حسابك في
البنك._**

**_صمت فقط لأحمي من أحب من شرك، وليس لأجل
المال. سيكون هذا السر داخلي كالحجر الثقيل. لن أعيش
مرتاحة البال بعد ما رأيته عيناى اليوم. ولكن فقط لأجل
من أحب، سأتحمل هذا السر._**

**ثم سحبت نفسها من بين يديه وغادرت القاعة. بينما ظل
يرمقها بنظارات غامضة، إلى أن سمع صياحًا صادرًا من**

الحديقة. فركض إلى هناك، وخلفه أمير وكل من كان داخل
القاعة. وعندما وصلوا إلى الحديقة، تفاجئوا بجسد يطفو
في المسبح الذي تحول لون مائه إلى اللون الأحمر
القاني. ارتفع اللغط وانتشر الفرع بين الحضور، وغطس
أحد الحراس إلى المسبح بأمر من أركان. تفقد الجسد
الطافي على ظهره، وكادت عيناه تفر من محجريهما من
هول الصدمة. وانعقد لسانه، فلقق به أركان وألقى نظرة
على الجسد. ثم تكورت يده واحمرت عيناها غضبًا، وهو
ينظر إلى دمية تشبهه كثيرًا، ينزف منها دم
اصطناعي، وظرف أسود يحمل نقش عقرب، لم يتردد
لحظة في فتحه وابتسم وهو يقرأ تلك الكلمات:
"بدأت اللعبة"

خرجت ليلى إلى الشارع الرئيسي، وأوقفت سيارة أجرة.
لم تكن تعرف في أي منطقة يقع ذلك المجمع التجاري،
لكنها وصفته للسائق الذي استغرب لجهلها بمكانها. وهي
ترتدي ذلك العقد والثياب الباهضة، توقفت السيارة
أمام محل السيدة مدلين، طلبت منه أن ينتظرها، غابت
لبضع دقائق ثم عادت وقد غيرت ثيابها العادية وجلبت
حقيبتها. حتى إن السائق لم يتعرف إليها في البداية. ثم
أعطته العنوان الجديد، وكان عنوان حيها.
دخلت إلى العمارة بعد ليلة متعبة، تمتلئ عيناها بالدموع
وقلبها بالحزن. جلست على الدرج وبدأت تبكي بحرقة.
كان يوماً مرهقاً، أنهكها جسدياً ونفسياً، وصورة تلك
الفتاة لا تغيب عن ناظريها. لكنها لم تكن تدرك بعد ما

ستواجهه عندما تدخل الشقة. مسحت دموعها وأخذت
نفساً عميقاً.

دخلت الشقة الغارقة في الظلام والهدوء المريب. وضغطت
على زر الإنارة لتجد مايا تجلس في الزاوية وهي تبكي.
سارعت ليلى نحوها بقلق شديد وسألتها عن سبب بكائها.
لترد مايا بصوت متقطع وعينيها مملوءتان بالرعب:

_ عندما كنت غائبة، طرقت الباب ظننتها أنت لكني وجدت
رجلين غريبين. سألتهم من أنتم لكنهم لم يجيبوا. حاولت
إغلاق الباب لكنهما دفعاني ودخلا بالقوة. أحدهما أغلق
فمي والآخر..

توقفت مايا عن الحديث لتجمع شتات عبارتها وشعرت
ليلى بصدمة كبيرة وسيطر الرعب عليها ثم واصلت مايا

حديثها بصوت مرتجف وأعطت ليلي ورقة مكتوباً عليها
رقم هاتف وقالت:

ـ قال إنه "إذا أردت أن يعود جان سالمًا عليك أن تتصلي
بهذا الرقم".

أخذت الورقة بيدين مرتعشتين وكان قلبها ينبض بشدة.
عاودت نقل الرقم على الهاتف بعد أن أخطأت مرات
عديدة، ثم رفعت السماعة وقالت بصوت مظرب
ـ من أنت؟ وأين أخي؟.

من أجل من يحب، يفعل الإنسان ما لم يتوقع

فعله"

نرعت الأخت الغرفة جيئة وذهابًا ثم وقفت فجأة وأردفت:

_ لا خيار لدي، سأفعل ما طلبه.

نهضت مايا من مكانه وسألت بشك:

هل أنت متأكدة؟ الأمر خطير.

_أعلم أنه أشبه بسرقة فريسة من عرين أسد، ولكنني

سأفعلها من أجل أخي. سأسرق تلك الفلاشة من أركان

كارا.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً، عندما طرق باب

المكتب وسمح أركان للطارق بالولوج، وكان سامر الذي

دخل قائلاً:

_سيدي، لقد طلبت إحضار موظفة خدمة الغرف من أجل

تنظيف المكتب.

نعم، أين هي؟.

ابتعد سامر وظهت من خلفه ليلي بهيئة مرتبكة.

فابتسم أركان ابتسامة كشفت عن أسنانه البيضاء، وطلب

منها الجلوس. أما سامر فقد غادر وليلي تنظر إليه وهو

يتوارى خلف الباب، وكأن مصدر الأمان الوحيد قد اختفى،
وظلت مع هذا القاتل وحدها.

التفتت إليه وكان لا يزال يحافظ على ابتسامته المستفزة.
جلست بهدوء، وهي تتجنب النظر إليه، ثم أردف
بسخرية:

_ ماذا لدينا هنا، سندريلا ذات الشعر الأحمر؟ ماذا يا
عزيزتي؟ هل انتهى السحر و عدتِ إلى واقِعك؟
رفعت ليلي رأسها وأجابته بحدة:

_ وأنت، هل تخلصت من ثياب القاتل و عدتِ إلى هيئة
المدير؟

انطلقت ضحكات متتالية من فم أركان، ثم قال:

_ ما هذا اللسان الحاد الذي تملكينه؟ أذكر أن سندريلا فتاة
لطيفة وتحب الأمير.

_ أنا لستُ لطيفة ولا أحبُّ أحدًا.

**كانت ستضيف شيئًا، لكنها صمتت، فحياة أخيها معلقة به
لا ينبغي طردها تحت أي سبب.**

_ حسنًا، لن أعبث معك كثيرًا، هيا ابدئي بتنظيف المكان.

_ وأنت ستبقى هنا؟

_ وما المشكلة؟ أساسًا لا أحبُّ من يلمس مكتبي وأوراقي.

نظفي المكان من حولي وارحلي.

_ ربما تزعجك رائحة مواد التنظيف.

_ لا تقلقي، لا شيء يستطيع إزعاجي.

أردف كلماته الأخيرة وهو يبتسم لها في تحد. أما ليلى،

فظلت تلغنه في سرها وبدأت بتنظيف المكان.

بعد مرور بضع دقائق، فتح باب المكتب ولامست من خلفه
سيلين. لم ترغب ليلي في أن تتعرف عليها تلك المغرورة،
لكن لحسن الحظ لم يحصل هذا.

ربما كانت سندريلا حقًا، لن يخطر على بال أحد أن هذه
الخادمة التي تمسح أرضية المكتب هي نفسها التي جاءت
إلى الحفل تلك الليلة. فقط ذلك القاتل عرفها، إنه دقيق
وشديد الملاحظة.

عانقت سيلين أركان الذي لم يكن يتحمل وجودها وجلست
إلى المقعد قبالة وهي ترمق ليلي بانزعاج. ثم أردفت
بصوت متصنع:

_أركان، لماذا ينظفون مكتبك وأنت موجود؟ قد تمرض
من رائحة هذه المواد. أكاد يغمى عليا بسببها.
أغمضت ليلي عينيها وهي تطلب الصبر من الله.

أما أركان، فقد أجاب:

_لا عليك، ستنهي عملها وترحل.

ثم طلب قدحين من القهوة، وعندما انتهت ليلى من التنظيف، جمعت أشياءها وهمت بالمغادرة، لكن تلك الشقراء المغرورة تعمدت سكب القليل من قهوتها على الأرض وطلبت منها أن تنظف تحت قدميها.

أحست ليلى باهانة لم تشعر بها من قبل رغم أنها تعمل منذ سنوات في الفندق، لكن من أجل جان عليها أن تتحمل.

اقتربت منها ونظرت إلى بقعة القهوة في الأرض بجانب كعبها العالي، عليها الآن أن تركع وتنظف تحت قدميها.

وعندما أوشكت على فعل ذلك، تدخل أركان قائلاً:

_سيلين، السيدة صوفيا تريد رؤيتك. أرجو أن تذهبي إليها.

_لتجيب الأخرى.

_لكنها لم تتصل بي.

_لقد أرسلت إلي رسالة الآن، لا تدعيها تنتظر. تعلمين أنها لا تحب الانتظار.

طبعت قبلة على خده وألقت نظرة استحقار على ليلي، ثم غادرت.

أنهت مسح البقعة وغادرت بسرعة، وعيناها مغرورتان بالدموع.

عادت ليلى في الساعة السابعة مساءً إلى المكتب لتنظيفه،

وكانت فرصتها للبحث عن الخزنة وتثبيت الكاميرا

الصغيرة في مكان قريب منها لمعرفة كلمة السر.

كان الطابق الأخير يغرق في صمته، فلا يسمح بأن يسكنه

أحد لأنه مخصص للمدير.

سارت عبر الممر المظلم وهي تلتفت يمناً وشمالاً، ثم

دفعت باب المكتب ببطء، شغلت الأنوار ولم يكن يوجد أحد

غيرها. هذه فرصتها.

وعندما دخلت، تفاجأت بوجوده هناك، جالساً في الزواية،

يضع يده على رقبته ويحاول التنفس بصعوبة. أسرعت

إليه وجثت على ركبتيها بالقرب منه، تفحصت نبضه

وكانت دقات قلبه تتسارع بصورة غير طبيعية، ثم صرخت
نوبة هلع.

وبدأت تستحضر الإسعافات الأولية التي تعلمتها في
الثانوية. ثم نظرت إليه وقالت مهدئة:

_ أنت أيها القاتل، هل تسمعي؟ يجب ألا تخاف أنه هنا، لا
ليلي ليس هكذا.

وأضافت:

_ عليك أن تتنفس ببطء، لا يوجد ما يدعو للقلق أساساً،
هل القتلة يخافون حقاً. يكفي ليلي، لم تمر دقيقة لم
تذكره فيها أنه قاتل.

شعرت بالإحباط، فلم تستطع تطبيق أي مما تعلمته. ليتها
أمضت وقتها في دراسة الإسعافات الأولية.

فجأة ومن دون سابق إنذار، عانقها بقوة، وهو يقول:

_ ابقى معي، أرجوك.

احمرت وجنتاها خجلاً وتسارعت دقات قلبها. لقد شعرت
براحة غريبة وأمان فقدته منذ سنوات. كيف يحصل هذا؟
كيف تشعر بالأمان بين يدي قاتل.

نظرت إلى ساعة يدها، ستصبح الثامنة قريباً. عليها
العودة إلى الحي. أبعدت أركان الذي غفا عنها وأسندته
برفق على الحائط، ثم أخذت هاتفه وأمسكت بيده لمطابقة
بصمة الإصبع. وبعد أن فتحت بحثاً في سجل مكالمته،
فعثرت على رقم سامر، اتصلت به وأخبرته بما حصل.
وبعد ربع ساعة تقريباً، جاء سامر وأخذ سيده إلى غرفته
في الفندق وشكر ليلى على تعاونها. ثم طلب من أحد
الحراس إيصالها إلى منزلها.

عادت وعلى وجهها ابتسامة نصر، فقد حققت مرادها
ووجدت الخزنة السرية خلف لوحة معلقة في المكتب،
أثناء انتظارها لسامر، وقامت بتثبيت الكاميرا.

في الصباح التالي، عرفت ليلي كلمة السر، فقد فتح أركان
الخبزة منذ دخوله المكتب. وهذه الليلة، ستنفذ خطتها
وتسرق الفلاشة.

روى سامر ما حصل ليلة البارحة لأركان، الذي لم يتذكر
شيئاً، إذ إن من عادته أن تأتيه نوبات الهلع من وقت
لآخر، ولا يستطيع بعدها تذكر ما حدث معه.

كانت تجلس في مكان استراحة الموظفين وهي تنتظر
قدوم المساء بفارغ الصبر، عقارب الساعة تمر ببطء
كأنها تسخر منها. ولكن لم يأت المدير إلى الفندق؛ فقد
سمعت من أحد الموظفين أنه مسافر في هذا اليوم ولن

يعود إلا في صباح الغد. لن تمنحها الحياة فرصة أخرى
كهذه ثم أشغلت نفسها بالتنظيف حتى ارتدت السماء رداء
الظلام، وعندئذٍ جاءت اللحظة الحاسمة فأخرجت من
حقيبتها قفازات سوداء وتوجهت إلى المكتب، دخلت داخله
وحدقت في كل الزوايا، لكنه لم يكن موجودًا. أغلقت الباب
خلفها وأزلت اللوحة من الجدار، ثم أخرجت هاتفها
وأعادت نقل الرمز بحذر حتى لا تصدر صوت إنذار قوي
كما أخبرها ذلك المتصل.

أغمضت عينيها وهي تضغط على الزر الأخير فانفتحت
الخزنة أخيرًا وتنفست بصعوبة من السعادة كانت الخزنة
تحتوي على رزمٍ من الأموال والمجوهرات والألماسات
وبعض الوثائق ثم وجدت الفلاشة خلف صندوق أسود لم
تهتم بفتحه وضعت الفلاشة في حقيبتها، ثم أغلقت الخزنة
وغادرت المكتب.

انتقلت بواسطة المصعد إلى الطابق الأول وهي تكاد تطير
من شدة الفرح أخيرًا، ستتقد جان لكن ملامحها تغيرت
وأمالها تبخرت عندما انفتح المصعد وكشف عن أركان
وهو يقف أمامها، يضع يديه في جيوب بنطاله ويرمقها.
ببرود، بلعت ريقها وحاولت أن تضغط على الزر لترتفع
إلى طابق آخر، لكنه سبقها وسحبها من يدها وقادها إلى
غرفة سرية في الطابق الثاني، رماها إلى الداخل ثم صفق
الباب خلفه وصرخ في وجهها:

_ من أنت؟ من أرسلك؟ تكلمي!._

سدت أذنيها بكفيها وهي تبكي، لكن أركان لم يشفق عليها
و أمسك بها من ذراعها ورطمها على الحائط، ثم اقترب
منها وصرخ في أذنها:

_ أنا أكره الخونة، ستتكلمين أم سأقتلك._

لم ترد عليه، فضرب الجدار بقبضته وابتعد عنها. ثم ظل
يدور في الغرفة وهو يقول:

_ غبية، هل كنتِ تظنين أنني لن أعرف؟ لدي كاميرا
مراقبة في مكتبي. أردت رؤية ما حصل البارحة لأنني لا
أتذكر شيئاً بعد نوبة الهلع التي تعرضت لها. وتفاجأت
بأنك أحد أتباع ذلك المعتوه. كيف تجرأتِ على خداعي؟.
عم المكان صمت ثم كسره أركان بقوله وهو يغادر
الغرفة:-

_ ستبقينا هنا حتى أعود من السفر. سيحضرون لك خبزاً
وماء فقط. سأعود وتعترفين، يا ذات الشعر الأحمر.
صفق الباب خلفه وسمعت ليلى صوت قفله وهو ينغلق.
ثم انهارت أرضاً وهي تبكي بمرارة.

"من عمق الحجارة يتفجر الماء"

بعد ثلاثة أيام:

انكشيت في فراشها، خلف جدران الفندق وبتحديد في تلك

الغرفة المظلمة التي تقضي فيها يومها الثالث. وهي لا

تعرف ماذا حصل في أخيها، الخوف رسم لوحته على

محياتها. وصوت تلك الساعة الجدارية يكاد يصيبها

بالجنون وهي تنتظر ذلك الباب ليفتح. ثم خطرت ببالها

فكرة، فأخذت الستائر وفراش السرير وربطت أطرافها

ببعض ليتهاكل لديها حبل قوي يستطيع حمل جسدها
المنهك وإخراجها من هذا السجن. فتحت النافذة ونظرت
إلى الأسفل، كان الارتفاع مخيفاً رغم أنها في الطابق
الثاني، لكنها شعرت بأنها ستقفز من قمة جبل شاهق.
ربطت طرف الحبل في قدم السرير، ثم أمسكت به بكل
قوتها وأخذت تهبط ببطء تحاول إبعاد ناظريها عن الأسفل
قدر المستطاع. تقاوم رغبتها في الغثيان، وبعد أن ابتعدت
عن النافذة، أحست بفرحة عارمة. فقد أصبحت على بعد
أمتار قليلة من هدفها. أخيراً ستغادر هذا السجن وتتخلص
من سجانها القاسي، وتذهب لإنقاذ أخيها. إنها تسمع
صوته وهو يناديها، لكن فرحتها لم تكتمل كالعادة. فقد بدأ
حبل القماش يتمزق، وتتمزق معه آمالها. فهو أيضاً غير
جدير بثقتها كثير ممن حولها. استسلمت لقدرها التي

لطالما تعلمت أنه لا مفر منه. فأغمضت عينيها وأرخت
جسدها، ووجه أخيها لا يفارق مخيلتها.

فجأة، أحست بالحبل ينشد، وفتحت عينيها لتجده يمسك
بالستائر بكل ما أوتيا من قوة. استغربت ليلي كثيرًا لماذا
هذا الوحش القاسي يساعدها وكيف لتلك اليد التي رفعت
عليها بأن تمتد لها الآن، وفي مثل هذا الوقت الحرج.

لماذا لم يفلت الحبل ويقتلها كما فعل مع مساعدته؟

انقطعت أفكارها عندما شعرت بذراعيه تسحبانها إلى داخل
الغرفة. لقد أنقذها. كشف ضوء النهار عن وجهه القاسي

ونظراته الباردة. تأكدت ليلي أكثر حينها أن تقدير

المساعدة والخيانة ليس دائمًا صحيحًا. أراد أن يتحدث:

_أريد أن أعرف كل شيء، كل سر تحمليه، والأهم، لماذا

حاولت قتلي؟.

أرادت ليلى أن تجيب، لكنها عجزت عن إيجاد الكلمات..

وأخذت مشاعر الخوف تهاجمها إلا أنها رفعت رأسها بثقة ونظرت في أعماق عينيه بثبات، واصل أركان حديثه وقد ابتعد عنها:

صمتك هذا ليس لصالحك، هيا تكلمي من أنت؟ و من أرسلك؟

لكن ليلى ظلت غارقة في صمتها فأخرج سلاحه و صوبه نحوها و بيده الأخرى كان يدور السبب ثم قال ببرود :

لم يعد لديك الكثير من الوقت يا ذات الشعر الأحمر.
نظرت إليه و أبدت شجاعة كاذبة لكن صوتها المرتعش فضح خوفها و هي تقول:

لا أعرف شيئاً.

جذب أركان كرسيًا و جلس أمامها و واصل حديثه:

حسنا لنعقد صفقة سأدفع لك ما تريد من المال هذا

إلى جانب أنني سأتركك على قيد الحياة, هيا أخبريني من

أمرك بقتلي.

بقيت صامتة ولم تنبس بكلمة حينها رن هاتف أركان

غاب لدقائق ثم عاد أكثر ثقة وأخذ يتجول في المكان

وعلى محياه ابتسامة النصر ثم قال:

أتعلمين كل شخص في هذا العالم لديه نقطة ضعف أليس

كذلك.

ماذا تقصد؟

علمت أن لديك أخاً صغيراً من زوجة أبيك.

ماذا تريد من أخي أنت أيضا؟.

صرخت ليلى مندفة

صمت أركان للحظات ثم قال بهدوء:

_أنا أيضا ماذا تقصدين؟

لم يلق ردا فواصل بنبرة هادئة

_ لا تخافي , أخبريني ماذا حصل ؟

رفعت ليلى عينيها الزرقاوين ببطئ لتصطدم بسواد عينيها

نظرت إليه وأحست بأن ذلك الوحش الذي كان يهددها

بالقتل منذ قليل اختفى ليحل مكانه شخص آخر أباد خوفها

بنبرته المطمئنة لكن مشهداً قتله لتلك الفتاة طفى إلى

عقلها فجأة فقالت:

_كيف سائق بقاتل مثلك؟

ضحك أركان وأردف:

**_هل حقا ما زلت تظنين أنني قتلت تلك الفتاة, إنها
مساعدتي أعرفها منذ سنوات. كانت تعمل معي في فندق
خارج البلد وسبقتمني إلى هنا لتنظيم العمل، لم أكن من
قتلها أحدهم فعل ذلك وعندما كنت أحاول إنقاذها دخلت
أنت وانزلت يدها فسقطت.**

_ومن يضمن لي أنك تقول الحقيقة.

**_لو كنت من قتلها لقتلتك أنت أيضا في اللحظة التي
رأيتك فيها ولم أكتف بتهديدك وإطلاق سراحك حتى أغبى
القتلة لا يفعلونها والآن ستخبريني بكل ما وقع معك أشك
أن من أرسلك هو الشخص ذاته الذي قتلها.**

شعرت ليلى بأنه صادق وروت له كلما حدث أنصت

أركان لما تقوله بعناية ثم قال مستفسرا:

_ إذا كان ذلك المتصل المجهول قد طلب منك سرقة

فلاشة من مكتبي لماذا حاولتي قتلي؟ .

أجابت ليلى موضحة:

_ لا.. لم تكن نيتي قتلك.. عندما دخلت فجأة إلى المكتب

خفت أن يفتضح أمري و تزج بي في السجن فلم أجد إلا

ذلك الخيار كي أحمي نفسي ثم أنني لم أرد قتلك فقط

إخفاتك لا أكثر.

_ و ماذا تفعل السكين عند فتاة مثلك.

_ أصبحت أحملها منذ أن خُطف أخي لأحمي نفسي.

_ حسنا هل إلتقيت مع المتصل؟

_ أبدا كان يرسل لي بين الحين و الآخر صوراً أخي

و أحيانا مقاطع فيديو لكنه لم يكن موجود في أي منهم.

همهم ركان في نفسه محاولاً فهم الموضوع في هدوء أما
ليلى فقد غمرت الدموع عينيها ثم قالت بصوتها
المضطرب:

_أخي المسكين لا شك في أنه خائف الآن إنه يعاني من
مرض التوحد.

_لا تقلقي سننقذه.

أردف أركان مطمئناً إياها ثم خطرت بباله فكرة بعد دقائق
أطلق ركان سراح ليلى وعندما إبتعدت عن المصنع
أخذت هاتفها واتصلت بالخاطف قائلة

_لقد حدثت مشكلة إكتشف أمري و بالكاد إستطعت

الهرب

_هل حصلت على الفلاشة .

_نعم هي بحوزتي الآن، لكن سأخذ أخي أولاً كما

إتفقنا.

_ لا تقلقي أنا أفي بوعودي.

_ أين سنلتقي؟.

_ أرسلني لي موقعك و سأرسل لك سيارة سيوصلك

سائقها إلى مكان أخيك ستضعين الفلاشة هناك

وتتصرفين مع أخيك و إياك أن تحول خداعي وإلا لن

يحدث خير.

_ حسناً.

انتظرت الأخت على قارعة الطريق، إلى أن قدمت سيارة

سوداء وأقلتها، وبعد عدة دقائق وصلت إلى مكان خال،

ترجلت من السيارة وضلت تجول بالمكان وهي تنادي لكن

لا أحد يرد حتى السائق الذي أوصلها انصرف ثم رن
هاتفها ولم تتردد للحظة في الإجابة:

_ أين أنت هل تخدعني؟

_ أمامك طريق غابي اسلكيه ستجدين سيارة أخرى
هناك.

أردف المتصل

_ ماذا تحاول فعله؟.

_ لا تقلقي ستجدين أخاك هناك ومفاتيح السيارة داخلها،
ضعي الفلاشة تحت الشجرة التي عليها علامة إكس خذي
أخوك وانصرفي.

_ فهمت سأفعل ما تطلبه.

ركضت بسرعة وانفجرت أساريرها عندما لمحت السيارة
المركونة على طرف الطريق، اقتربت أكثر ودمعت عيناها
وهي تنظر لجان. حاولت فتح الباب لكنه لم يفتح، وباتت
كل محاولتها بالفشل. في فتح الأبواب الأخرى نظرت إلى
أخيها وهو يضرب الزجاج بكفيه الصغيرتين، وكانت
شفتاه ترسمان بأحرف غير مسموعة. لم تصل كلماته
الأولى إلى أذني ليلى، لقد حجب عنها ذلك الزجاج صوتاً
أردت سماعه منذ سنين. بكت كثيراً وهي تضع كفها على
كف جان، تمنى لو أن يدها تستطيع اختراق ذلك الزجاج
الصلب. مسحت دموعها والتقطت حجراً من الأرض
وبدأت بكسر النافذة حتى أدمت يديها. لكن فجأة أمسك
أحدهم بذراعها وركض بها إلى أبعد نقطة ممكنة وهي
تصرخ محاولةً التحرر من قبضتها.

لينفجر دوي قوي ويهز الأرض ويترد كل طيور الجائعة
لقطع طريقها، انفجرت السيارة انفجارًا ضخمًا، وسقطت
أركان وليلى أرضًا. ارتعشت من هول الانفجار وظهر
رجال أركان مشهرين بأسلحتهم، ثم عم المكان صمت
رهيب وكأن الزمن تجمد في تلك اللحظة. فلا يسمع سوى
صوت اللهب وهي تلتهم السيارة ومن فيها. حتى أطلقت
الأخت صرخة مزقت أحشاء الصمت واندفعت نحو السيارة
المشتعلة، لكن أمسك أركان بها ومنعها. ظلت تقاوم
وتصرخ حتى تلاشت قواها وفقدت الوعي .
ثم اهتز هاتف أركان، ليجيب ويسمع ذلك الصوت المستفز
وهو يقول:

_ هل أعجبتك الألعاب النارية؟ أعلم أنها أعجبتك، فتفجير
السيارات لعبتك المفضلة.

أردف أركان بنفاز صبر:

_هل أنت بشر يا هذا؟ كيف تقتل طفلا صغيراً؟

_لقد دفع ثمن خيانة أخته لي.

ثم أغلق الخط وحمل ليلى إلى سيارته.

استيقظت ليلى من إغمائها لتجد نفسها مستلقية في غرفة

أنيقة ومرتبة جلست على حافة السرير تستطلع المكان

كانت الغرفة مفروشة بأثاث أنيق وعصري تعلو السقف

ثرية لامعة تنير الغرفة بإضاءة دافئة أمسكت برأسها الذي

يؤلّمها كثيرا ثم تذكرت كل تلك الأحداث الأليمة التي مرت

أمامها بسرعة البرق ذلك المتصل، أركان، الانفجار وجان

الذي لن تستطيع رؤيته مجددا كانت تود لو كان كل ما

عاشته مجرد كابوس لكنه لم يكن كذلك لأسف أرسلت

دموعا صامتة على خديها بنظرة منكسرة حزينة ثم طرق

الباب

ودخل أركان الغرفة جلس على الأريكة قبالتها وقال

بهدوء:

_ستبقين هنا هذه الليلة، أنت في أمان في فندقي وخدمة

الغرف تحت أمرك في حال احتجت شيئاً.

أردفت ليلى:

_ لا أريد شفقة أحد.

_لست مشفقاً عليك، هيا اخدي إلى النوم غدا سنقوم

بمراسم الدفن.

ألقي هذه الكلمات ثم ذهب، واستلقت ليلى على الفراش

وهي تبكي بحرقة وألم، وفي الغرفة المجاورة كان أركان

يعيد شريط الأحداث، كم من شخص فقد حياته وتعرض

للخطر بسببه ثم بلع حبوب النوم وأغلق عينيه على أمل
أن يجد بعض السكينة في عالم الأحلام .

انتهت تلك الليلة الحزينة واستيقظت ليلى في اليوم التالي
وهي مرهقة جدا إذ لم تنم سوى لساعات قليلة ثم دخلت
فتاة من خدمة الغرف وكانت تحمل ثوبا أسود وشالا من
نفس اللون وأخبرت ليلى أن السيد أركان ينتظرها ارتدت
الثوب وغطت شعرها بالشال ثم قادتها الفتاة نحو المطعم
حيث وجدت أركان يجلس في إحدى الزوايا ,جلست ليلى
قبالته , خيم صمت ثقيل واستغرق الوقت لعدة قبل أن
يأخذ أركان مبادرة الحديث وطلب منها أن تتناول إفطارها
لتتحمل هذا اليوم الصعب، فقامت بأكل بعض اللقيمات
على غير رغبتها.

"موت الأحبة كذبة، إنهم أحياء داخلنا ولو

ماتوا"

تساقطت قطرات المطر بغزارة على المقبرة وكأن السماء
تشارك الحاضرين حزنهم، تم وضع جثمان الطفل الصغير
في مثواه الأخير لتحتضن الأرض جسده بصمت، كانت
الأخت تبكي، تختلط دموعها بزخات المطر تستند إلى
عمتها مليحة التي أتت حديثاً من الضيعة لم يكن هناك في
المقبرة غيرهما، سوى أركان وسامر والشيخ الذي قرأ
الفاتحة على روحه النقية ثم عز الحاضرين ورحل.

انتهت مراسم الدفن واقترب أركان من ليلى التي ظلت بجانب قبر أخيها وقال بلطف:

_ ليلى هيا لنذهب ستمرضين إن بقيت تحت المطر .

نظرت إليه ببراءة وقالت بصوتها المتحشرج:

_ لا أريد أن أترك جان وحيدا إنه يخاف كثيرا.

_ لن يخاف ستزورينه دائما هيا لنذهب، سيحزن لو

مرضت .

_ لكنه سيشعر بالبرد .

صمت أركان وخلع معطفه ووضعها فوق القبر ثم مد يده

إلى ليلى فأمسكتها وساعدها على النهوض وكانت العمة

تشاهد ما يحدث بمكر وفي بوابة المقبرة سحبت العمة

ابنة أخيها وسألتها :

_ هل أنت بخير يا ابنتي؟

لتجيب ببرود:

_ كيف تتوقعين حالي بعد كل ما مر بي.

ثم واصلت العمة قولها:

_ لقد وصلني الخبر في الصباح الباكر حيث أتى رجل

وأخبريني أن السيد أركان أرسله يبدو أن المدعو أركان

شخص جيد .

نظرت إليه العمة نظرة إعجاب وقالت بمكر:

_ هو ليس غنياً فقط بل وسيم أيضاً , آه يا ابنة أخي لو

تشغلينا عقلك .

لتقول ليلى بحدة وقد نفذ صبرها:

_ يكفي هراء هل نسيتِ أننا في جنازة .

سكتت العمة ثم قدم أركان وقال:

_ أنا ذاهب، سيوصلكم سامر إلى الفندق لأخذ قسط من

الراحة ثم سيأخذكم في المساء إلى القصر أنتما في

حمايتي حتى أجد الفاعل.

لتردني ليلي :

_ لا داع، سنعود إلى الحي.

لتصرخ عمتها صوفيا وهي تبكي:

_ أين ستعودين هل تريدين أن يخطفك أولئك الذين لا

يعرفون الرحمة، لقد خسرت ابني الصغير ولا أريد

خسارتك.

لم تقل ليلي شيء فقد اعتادت براعة عمتها في التمثيل.

دخلت ليلي وعمتها القصر الفخم وأظهرت العمّة مليحة إعجاباً شديداً وهي تتمتع بعبارات الشكر لله والامتنان لعيشها هذه اللحظة التي دخلت فيها مكان بهذا الرقي ، فتحت لهما الباب خادمة بزي رسمي واستقبلتهم بابتسامة، حاولت العمّة خلع حذاءها لكن الخادمة أخبرتها بأنه لا داع لذلك , كان القصر من الداخل جميلاً يتجلى الترف في كل زاوية من زواياه من خلال الأثاث والتفاصيل الأنيقة ولوحات رائعة تعكس ذوقاً رفيعاً ,قادتهم الخادمة عبر الممرات المفروشة بالسجاد الأحمر الفاخر أرشدتهم الخادمة إلى غرفهم ,دلفت ليلي غرفتها الأنيقة واستلقت على السرير الوثير بإعياء فيما تركت عمّتها تتمتع بغرفتها. وعندما أوشكت على النوم اقتحمت العمّة غرفتها بدون إذن، وظلت تذرعها جيئتا وذهابا وهي تقول وكأنها تحدث نفسها:

لقد فاق هذا القصر جميع توقعاتي, لم أتخيل أنهم بهذا
الثراء لو تستغلين وجودنا هنا و توقعين السيد أركان في
شباكك و تصبحين زوجته حينها سنودع الفقر إلى الأبد.
فجأة نهضت ليلى من على السرير و اقتربت من عمتها و
عيناها تعكس نظرة غضب مرعبة جعلت العمّة تتراجع
إلى الخلف ثم هددتها و هي ترفع سبابتها في وجهها:
_إياك أن تفتحي هذا الموضوع ثانية, ذلك الرجل كان
سبب في موت أخي لولا خطته السخيفة لاستطعت إنقاذه
نحن هنا لأنه يشعر بتأنيب الضمير و لن بقى دائما
سنعود إلى الفقر فلا تتعودي سيدة مليحة .
حاولت صفعها لكن ليلى أمسكت بيدها
وحذرتها قائلة:

**لا أنصحك بفعلها أبدا، ولا تضن أني نسيت كيف طردتنا
من الشقة.**

سحبت مليحة يدها و هرولت خارجا و هي تتمتم.

**عادت السيدة صوفيا وابنتها إلى القصر بعد غيابها طوال
اليوم في حفل للسيدات المجتمع الراقيات وجلست العائلة
إلى المائدة وكانوا يهتمون بالبدا بتناول الطعام لكن أركان
طلب منهم الانتظار، وتبادل الجميع نظرات الحيرة
والتساؤل. مرت بضع دقائق وأشار أركان إلى الباب
المفتوح في نهاية القاعة، ونظرت السيدة صوفيا وسارة
وأمر بترقب، حتى دخلت ليلى وعمتها، وتغيرت التعابير
على الوجوه بين دهشة أمير الذي لم يتوقع رؤيتها ثانية،
وفصول الأم وابنتها.**

نظرت الأم باستفسار إلى أركان وسألته

من هؤلاء؟.

فأجاب أركان مشيراً إليهما:

_أقدم لكم الأنسة ليلى وعمتها السيدة مليحة. هؤلاء

ضيوفي وسبقيان في القصر لمدة.

كتمت الأم غيضا وأبدت ابتسامة صفراء للضيوف،

وتبادل أركان وأمير نظرات غريبة. لم تستطع صوفيا

التعرف على ليلى، لكن أمير عرفها فور دخولها، وكان

ينتظر أجوبة كثيرة من أخيه.

جلست العمة وابنة أخيها إلى المائدة بعد أن دعاهم أركان

لتناول العشاء، وكانت نظرات الجميع تتابع الطريقة التي

تأكل بها العمة. حيث كانت يده تشق طريقها نحو الطعام

وتأخذ لقمات كبيرة تبتلعها بسرعة. أما ليلى فكانت

محرجة ولم تكن تعرف كيفية استخدام الشوكة والسكين
بشكل صحيح، فلم تأكل إلا قليلاً.

لاحظت السيدة صوفيا ذلك وتخاطب ليلى بدهاء:

عزيزتي ليلى، أليس كذلك؟.

أومأت ليلى برأسها إيجاباً، ثم واصلت صوفيا كلامها
بتهمك:

_يبدو أنك لا تعرفين إتيكيت الأكل. عليك تعلمها حتى لا
تبقى جائعة._

أحست ليلى بالإهانة وشعرت بالأسف حيال عمته فلم
تقل شيئاً أمام المرأة التي تستصغر ابنة أخيها أمامها.
لكنها لم تنتظر ذلك من عمته، وردت بكل ثقة وهي تنظر
في عيني الأفعى التي تجلس أمامها مباشرة: _معك حق،
لا أعرف إتيكيت الأكل لأنني أنتمي إلى حي بسيط. هنالك

نتعلم الاتيكات المعاملة والاحترام والتواضع. للأسف،
كثيرون هم من يجهلوننا هذه الإتيكيت.

ابتسم أركان لهذا الرد وتفاجأ كل من أمير وسارة. أما
صوفيا، فابتسمت ابتسامة صفراء حتى تحافظ على
وقارها، لكنها من الداخل كانت تستشيط غضبًا..

ثم اعتذرت ليلى وغادرت قاعة الطعام ولحق بها أمير إلى
الرواق أمسك بذراعها وسألها قائلاً:

_ أي رياح أتت بك إلى هذا القصر يا فتاة القلادة؟

لتجيب بحدة:

_ هذا ليس من شأنك.

ثم سحبت يدها واتجهت إلى غرفتها لكنه أوقفها قائلاً:

_ لكن احذري أن تبتلعك جدران هذا القصر.

لم تفهم ما يقصده فتجاهلته وذهبت.

" ليست كل المفاجآت جميلة بعضها بشع

والآخر مرعب"

في الصباح، كان أركان يهيم بالمغادرة إلى عمله لكن والدته طلبت الحديث معه على انفراد دخلا المكتب وكانت

السيدة صوفيا في غاية الانزعاج وهي تقول:

_ركان أأن تخبرنا من هؤلاء الضيوف ولماذا سيضلون

هنا؟ ألم تر تلك المرأة الجشعة كيف تأكل وكأنها لم تر

الطعام طوال حياتها وتلك الفتاة الوقحة كيف تجرؤ على
الرد في وجهي هؤلاء ليسوا من مستوانا .

أجاب أركان ببرود :

_ تعلمين أنني لا أحب تفسير أفعالي ,وبالنسبة لمستواهم
فهذا القصر ليس بنكا حتى يدخله سوى الأثرياء وأنا من
يقرر ذهابهم أو بقاءهم.

ألقي هذه الكلمات التي ألجمت فم الأم عن الكلام وغادر .
وفي الأثناء كانت ليلى جالسة في الحديقة تستنشق الهواء
المعطر برائحة الزهور لتأتي من خلفها صوفيا التي لم
تتردد في المجيء إليها عندما لمحتها من النافذة وقفت
بجانبيها

وأردفت:

_ هل أعجبتك الحديقة؟

انتفضت ليلى التي لم تشعر بوجودها ثم تماكنت نفسها

وأجابت بهدوء :

_نعم إنها جميلة جدا.

جلست بجانبها على الكرسي الخشبي وواصلت قولها:

_إن أمهر الخبيرين مشرفون عليها لأن أركان يحب

الدقة في كل الأشياء المحيطة به.

ثم عم الصمت المكان للحظات حتى أضافت الأم وقد

تغيرت نبرة صوتها:

_ هذه المرة الأولى الذي يحظر فيها أركان ضيوف إلى

القصر، خصوصاً من هذا المستوى، حقاً إنه لأمر عجيب.

نهضت ليلى وقالت بحدة:

_إننا الآن وحدنا يا سيدة صوفيا، بإمكانك التحدث

مباشرة.

وقفت صوفيا قبالتها وأظهرت وجهها الحقيقي وهي

تقول:

_حسناً، إذا لا أريد ضيوفاً مثلكما في قصري... لا أعلم

السبب الذي جعل أركان يهتم بكما لهذه الدرجة، لكن مهما

كان السبب سأعرفه، وإياك أن تظني أنك ستبقين هنا

طويلاً، أنت وعمتك تلك.

ابتسمت ليلى وردت بهدوء:

_لا تقلقي، ليست لدينا نية البقاء هنا بضعة أيام ونرحل،

ليرتاح قلبك

_أتمنى ذلك.

فجأة تعالى صوت الرصاص أمام بوابة القصر وشعرت

ليلي بالفرع، أما صوفيا فضلت هادئة، ثم جاء أحد

الحراس وقال بلهجة مضطربة:

_سيدة صوفيا، نحن نتعرض لهجوم.

احموا البوابة وأخبروا أركان.

ثم التفتت إلى ليلي وقالت:

_وأنت إن لم تكوني تريدين الموت، فتعالى معي.

ذهبت ليلي خلفها نحو القصر، وكانت عمتهما والخادمت

متجمعات في حالة من الهلع والخوف. ثم أمرت صوفيا

الجميع باللحاق بها، قادتهم إلى الغرفة في نهاية الممر،

وعند دخولهم وجدوا الغرفة فارغة تماماً، إلا من لوحة

مستطيلة الشكل تغطي الجدار. تقدمت صوفيا نحوها

ووضعت على زر جانبي في إطارها لتتحرك اللوحة من

مكانها وتكشف عن باب خلفها. ذهلت ليلي وعمتها مما رأينه، لكن الوقت لم يكن مناسباً للذهول. دخلت السيدات إلى غرفة أخرى، كانت أصغر حجماً لكنها أكثر أماناً، تحتوي على أريكة وخرنقة في الجدار. كانت العممة مليحة تنظر إليها وتتخيل الذهب والألماس داخلها. جلست صوفيا على الأريكة ببهدوء، وبدأت غير مبالية بما يحدث. ثم وجهت كلامها إلى ليلي قائلة:

_ هذا ثمن أن تعيشي في قصر آل كارا، إنه مجرد ترحيب، لا داعي للخوف.

لم تعلق ليلي على كلامها، وبعد دقائق فُتح الباب، وانتاب الخوف الجميع ما عدا صوفيا التي تعلم أن لا أحد غير من تثق بهم يعرفون شيفرة الدخول. وبالفعل لاحت خادماتها

الوفية وقد عبث الرعب بلامحها، وأردفت بصوت

مرتعش:

لقد اقتحم المسلحون البوابة و لم يعد هناك الكثير من

الحراس ...و الأنسة سارة .

نهضت الأم بفزع فيما واصلت الخادمة كلامها :

لم تذهب للجامعة لقد رأيتها في الحديقة الخلفية.

انتاب الرعب صوفيا لأول مرة و أسرعت إلى الخزانة

ضغطت على الأرقام ثم انفتحت وأخرجت منها مسدسا

و قبل أن تعيد غلقها مدت ليلي يدها وأخرجت سلاح آخر

وأخبرتها بأنها سترافقها حتى ولو لم تكن تحسن

استخدامه، لكنها متأكدة أنها وقت الضرورة ستعرف كيف

ثم سارتا عبر الممر المؤدي إلى تضغط على الزناد.

الحديقة الخلفية بحذر.

في الأثناء، كانت سارة مختبئة خلف شجرة في حالة من
الذعر الشديد تسد أذنيها بكفيها، لكن صوت الرصاص
كان صاخبًا. فجأة شعرت بذراع تلتف حولها وأخرى تغلق
فمها.

بدأت تتخبط وتقاوم، وفي لحظة سريعة عضت اليد
وأطلقت صرختها قبل أن يُكتم صوتها مرة ثانية.
سمعت صوفيا وليلى صرختها المستجدة وركضن نحو
مصدر الصوت. لكن وابلًا من الرصاص حال دون
استمرارهن، تمكنت صوفيا من الإطاحة باثنين منهم. أما
ليلى فكانت تضرب على نحو عشوائي، لكنها نجحت في
عرقلة حركة أحدهم بضربة على مستوى القدم. بينما
كانت سارة تحاول الإفلات من الشخص الذي يحاول
اختطافها وجرحته يده بأظافرهما، واستطاعت الهرب منه

لتجد والدتها أمامها. ركضت نحوها واحتمت بها. أمرت صوفيا ليلى بأخذ سارة إلى القصر، في حين بقيت هي مشهرتا سلاحها نحو ذلك المقنع الذي كان يعتزم خطف سارة. كان مختلفًا عن بقية المسلحين. فوجهه مغطى بالكامل بقناع أبيض.

قادت ليلى الفتاة إلى الداخل، وعندما التفتت لاحظت أن صوفيا أنزلت سلاحها وبدأت تتحدث مع المقنع، كما لو أنها تعرفه.

في الوقت ذاته، وصل أركان ورجاله واندلع اشتباك جديد. عادت صوفيا إلى القصر من الباب الخلفي بكل ثقة. تعلق وجهها ابتسامة رضا. بينما خرجت ليلى من الرواق لتطمئن عليها، لكنها وجدت المقنع أمامها. أشهرت نحوه السلاح بيدين مرتعشتين، لكنه تقدم نحوها من دون

خوف. وكأنه يعلم مسبقًا أنها لا تستطيع فعلها. ثم رمى
ظرفًا أسود منتفخًا بالقرب منها وذهب. أنزلت سلاحها
واقتربت منه بحذر. التقطته من الأرض وفتحته لتطلق
شهقة فزع، وانهمرت الدموع من عينيها. لكنها سرعان
ما تجاوزت حالة الدهشة. تغيرت نظراتها وأحكمت مسك
السلاح.

أما المقنع، فكان يسعى للهرب بعد أن سيطر أركان على
الوضع. وركض نحو الجدار الخلفي المنخفض وعندما
حاول القفز منعه ذلك المسدس الذي ثبت على قفاه من
الحركة والتي كانت ليلى تمسك بمقبضه، أمرته بإلقاء
سلاحه فامتثل لأمره ثم طلبت منه أن يمشي وقادته نحو
البوابة، حيث كان أركان متجمعًا مع حراسه وعندما ظهر
المقنع أشهر الجميع بأسلحتهم لكن أركان أشار بيده
لإنزاله عندما لمح ليلى خلفه كان العدو يسير نحوهم

بصمت مقيت كل خطوة هي خطوة نحو الحقيقة، لكن
الموازين انقلبت عندما فاجأت ليلى بحركة مباغته
وانتزع منها المسدس وثبته على رأسها مهددا بقتلها.
وسار نحو البوابة دون أن يستطيع أحد إيذائه، فقد شل
حركتهم جميعا وكأنه يتحدى الزمان والمكان وعندما
أصبح في الخارج، قدمت سيارة سوداء مظلمة سر نحوها
ركبها وألقى بليلى في الشارع ثم لوح لأركان بيده ورحلت
السيارة بسرعة جنونية وفشل الحراس في اللحاق بها
وثقب إطار عجلاتها.
غضب أركان وصب جل غضبه على ليلى وصرخ في
وجهه قائلا:

_ ما الذي تحاولين فعله أيتها الغبية لو أراد كان قتلك
عندما ركب سيارته ورحل لماذا لم تخبرينا وتصرفت من

تلقاء نفسك هل تعرضين حياتك للخطر من أجل حشرة
مثله و...

قاطعته ليلي :

_ إنه هو ...الشخص الذي نبحت عنه , قاتل أخي.

اتسعت عينا أركان دهشة وسأل:

_ هل أنت متأكدة؟

أخرجت من جيب سترتها ذلك الظرف الأسود وفتحته ثم

سحبت من داخله نظارات جان وخصلة من شعره

حينها أطلق أركان ضحكةً مجلجلةً وسط صمت رجاله

الذين يعرفون جيداً ثمن هذه الضحكة.

عاد سامر إلى القصر في وقت متأخر من الليل وهو
يحمل أخبارا جديدة وتوجه مباشرة إلى مكتب أركان الذي
كان في انتظاره بفارغ الصبر، وفور دخوله دعاه إلى
الجلوس وإنضم إليهما أمير وجلس في مقابل سامر وقبل
أن ينطق أركان بكلمة
قاطعه شقيقه قائلا:

_ ليست عائلتك فقط من تهجم عليه أولئك الأوغاد هي
عائلي أنا أيضا.

سأل سامر متعجبا:

_ مهلا أي هجوم تتحدث عنه؟

فرد أركان قائلا:

_ سأخبرك فيما بعد، أخبرني الآن عن النتائج التي وصلت

إليها.

اعتدل سامر في مقعده وأردف بنبرة جادة:

_ لقد أنجزت ما طلبته مني وزرت حي الأنسة ليلى

فقاطعه أمير :

_ لكن ما علاقة ليلى بالأمر؟

قال أركان بنفاز صبر و لعبة سبينر تدور بسرعة بين

أصابعه:

_ سنتحدث في ذلك لاحقاً ,إياك أن تقاطعه مرة ثانية.

واصل سامر كلامه:

_ لكن لحسن الحظ كان هناك محل لبيع الأجهزة

الإلكترونية مقابل العمارة وكان مجهزاً بكاميرا خارجية

واستطعنا أخذ التسجيلات في تلك الليلة التي خطف فيها

جان.

ثم أخرج هاتفه وعرض شريط الفيديو وعلق عليه:

_أحد الرجلين وجهه ظاهر للكاميرا ومن خلال تحرياتنا عرفنا من يكون، يدعى عثمان، يعمل في تجارة المخدرات وهو أحد رجال عصابة العقرب.

في لحظة توقف الزمن واتسعت عينا أركان وهو يمرر بين عينيه وشم العقرب. ثم نهض وربت على كتف سامر وغادر المكتب. ثم نظر سامر إلى يد أمير الملتفة في ضماد وسأله:

_هل أنت بخير سيد أمير؟ ماذا حصل ليديك؟

ليجيب أمير:

_مجرد جرح صغير، لا شيء يدعو للقلق. هيا لنلحق بأخي لقد جمع الرجال في الخارج، دعنا لا نفوت خطابه المؤثر.

في الخارج كانت ساحة القصر مليئة بالرجال الأشداء،
وقف أركان أمامهم وانضم إليه سامر وأمير عم الهدوء
المكان للحظات ثم صرخ بصوت أشبه بزئير الأسد:

لقد تجرأ أولئك الأوغاد على اقتحام قصري والهجوم
على عائلتي. ستشددون الحماية من هنا فصاعدًا، ولن
يمر طائر فوق هذا القصر دون أن يكون لكم علم بذلك،
ومن يتكاسل ويقصر في عمله سيكون مصيره الموت.
ثم ظهرت ليلى وتقدمت بثبات نحو أركان، وكل الأنظار
تتابعها وقفت أمامه وقالت بثقة وحزم:

من الآن أنا معكم في هذه الحرب.

تبادل الجميع نظرات حائرة، وضحك أمير. أما أركان فقد
واصل خطابه:

_ونسيت أمراً مهماً، هذه التي تقف إلى جانبي لن تضع
قدميها خارج هذا القصر.

غضبت ليلى وحاولت الرد، لكنه قاطعها قائلاً بصوت
منخفض:

_اختفى الآن من أمامي، دعينا ننسى أنك من جعلتي
عدونا يهرب.

_لكنه عدونا المشترك، وسأنتقم معك أنا أيضاً.

_أنت لا تستطيعين حتى إمساك السلاح.

_سأتعلم.

_إذا عندما تتعلمين، مرحباً بك معنا.

"الخوف وحش كبير، يجثم على صدورنا

يمنعنا التنفس"

توالت الأيام وتمكن أركان ورجاله من نسف عدد كبير من مصانع صنع المخدرات التابعة لعصابة العقرب، واستمرت ليلى في التدريب وتحسنت قدراتها القتالية. أما سارة فلم تتمكن من تجاوز مشاهد العنف والدم في ذلك الهجوم. وخاصةً لحظة محاولة ذلك المقتنع كتم أنفاسها، فأصبح الخوف قرينها الدائم والكوابيس تتسلل إلى منامها. كل ليلة، أما سامر فمئذ أن عرف بما حصل لها لم يتركها أبدًا، وظل يحرس نافذتها كل ليلة، لكن الخوف لم يغادر

قلبها. إلى أن اضطرت الأم لأخذها إلى المستشفى لتلقي
العلاج عند أشهر الأخصائين النفسيين.

وفي ذلك الصباح، فتحت سارة عينيها ببطء لتتشكل
أمامها صورته. انتفضت بفزع وبدأت تردد بصوت
هستيري: "لا لا لا"، وهي تسد أذنيها بكفيها، تغمض
عينيها وتفتحهما بشكل متكرر، لكن ذلك المقنع لم يتلاش
من أمامها. فلم يكن تخيلات هذه المرة واقترب منها
ببطء، ثم أزاح قناعه وكشف عن وجهه. فخارت قواها
عند رؤيته، كانت صدمتها أكبر بكثير مما يمكنها تحمله،
وبصوت مرتجف قالت بصعوبة:

__ هذا أنت، لماذا؟.

ابتسم لها وكان آخر ما رآته ابتسامته الشيطانية، فقد
غرز حقنة في يدها وغابت عن الوعي.

وعندما استيقظت، كانت شبه واعية لما حولها، تفيض
من عينيها نظرة برود مخيفة، ثم التفتت إلى المنضدة
بجانبيها، فوجدت مشرطاً حاداً فوقها. بعد نصف ساعة،
قدمت الممرضة لإعطائها حقنتها اليومية، وعندما دخلت
صاحت بفزع من هول المشهد. فقد كانت سارة جثة هامدة
تنهمر الدماء بغزارة من معصمها والمشرط الحاد في يدها
الأخرى.

أقيمت جنازة سارة وسط أجواء مليئة بالحزن الشديد على
رحيل تلك الفتاة ذات الوجه البريء والابتسامة اللطيفة،
ولم يبحث أحد خلف موتها. فقد تم تسجيلها كحالة انتحار
ناجمة عن الضغوط النفسية التي عاشتها، ليدفن السر مع
سارة للأبد.

شعر أركان بالألم وتأنيب الضمير، فقد اعتبر نفسه
مسؤولاً عن موت أخته الوحيدة، ولم يستطع سامر تقبل
الأمر، وظل ينام تحت نافذة سارة كل ليلة. أما صوفيا فقد
أبدت ثباتاً كالعادة، لكنها كلما اختلت بنفسها انهمرت
دموعها. وحاول أمير أن يتخطى وجع الفقد بارتياح
الملاهي والشرب حتى الثمالة، لكل طريقته في الوجد،
ولكل عقابه الذي اختاره لنفسه. لقد رحلت سارة، الروح
البريئة التي كانت تشع أملا وحيوية، فحكمت على القصر
بالحزن والجمود المقيت.

مضى أسبوع على تلك الحادثة الأليمة، ولم يتخلص سكان
القصر من الألامهم.

في تلك الليلة، لم يطرق النوم جفني ليلى وكانت تشعر
بالجوع، فنهضت من سريرها وغادرت غرفتها نحو

المطبخ الكبير، فتحت الثلاجة وتناولت الطعام وبعد أن
شبت غسلت الأطباق وغادرت المطبخ.

سارت عبر الممر المظلم الذي ينيره ضوء القمر المتسلل
من النوافذ الزجاجية المطلة على الحديقة، وفجأة سمعت
همهمات متواصلة ولاحظت ضوءا يتسلل من تحت باب
تلك الغرفة حاولت أن تتجاهل الأمر لكن فضولها قادها
إلى مصدر الصوت، اقتربت من الباب وترددت قليلا ثم
أرهفت سمعها والتقطت أذناها صوت السيدة صوفيا
تتحدث مع ابنها أمير لم تعطي بالا للموضوع وكانت
سترحل فالتفتت على الأبواب ليس عادة حميدة لكنها
تجمدت في مكانها عندما سمعت ما قالته صوفيا
حاولت الابتعاد بسرعة، لكنها خبطت في منضدة بقرب
الغرفة وأصدرت صوتا سمعه من في الداخل فخرجا

لمعرفة مصدر الصوت وتفاجأ بعدم وجود أحد بينما كانت
ليلى مختبئة خلف الطاولة تكتم أنفاسها بكفيها وعندما
عادا هرولت إلى غرفتها.

توقفت سيارة أركان في حي فقير قذرو ترجل منها غير
مبال بعيون المجرمين واللصوص التي ترمقه.

ثم دخل ذلك المكان الذي يلفه الهدوء وتنتشر فيه القبور
اقترب من قبر رخامي انسكب عليه ضوء القمر وجث
على ركبتيه بعد أن أسقط عنه قناع الكبرياء والغرور
وهو يتحسس التربة وتذرف عيناها الدموع المريرة فلم
تعد نظارته باردة وملامحه قاسية، شيء ما تغير فيه إنه
ذلك الطفل البريء يفر من داخله، الطفل تعيس الحظ .

لم تستطع ليلى النوم وظلت عيناها معلقتين في السقف
وكلام صوفيا لم يغب عن ذهنها وهي تقول:

_ عليك أن تكون أكثر حذرا، ماذا لو شك أحد في جرح
يديك ،لا تنسى أبدا أنك من ستتربع على عرش آل كارا
هذا من حقك أنت وليس أركان، لأنك أنت الابن الشرعي
الوحيد لهذه العائلة.

انحنى أركان على القبر وهو يبكي بشدة تمالك نفسه
ورفع رأسه وقال بنبرة المضطربة:

_ _ إنني أتألم جدا بغيابك، لماذا رحلت باكرا وتركتني
وسط هذا العالم القذر يا أمي.

ثم حدق بعينيه المحمرتين إلى ذلك الذي يرقد بجانب قبر
أمه وتقدم إليه، نظر بشرود وقد تغيرت ملامحه ليردف
ليصرخ:

_ أكرهك جدا ، ذكراك اللعينة لا تزال محفورة في
جسدي لماذا فعلت هذا؟ لماذا رسمت وشم العقرب على

كتفي وأنا ما زلت في الثامنة, ما علاقتك بتلك العصابة يا
أبي.

انعكس وجه ليلى الشارد على سطح كوب القهوة الساخن
وشعرت العمة مليحة بوجود خطب ما فسألت بفضول:

_ ليلى ما بك يا فتاة؟ لماذا أنت شاردة منذ الصباح؟

لم تنتبه ليلى لسؤال عمته وظلت تراقب صوفيا التي
انضمت إليهما وجلست إلى مائدة الفطور بكل ثقة. فكرت
ليلى بسكب كوب القهوة الساخن على رأس هذه الحرباء،
لكنها سرعان ما طردت هذه الأفكار من ذهنها وقررت أن
تخبر أركان خاصة وأنها أصبحت متأكدة أن أمير هو
المقنع.

دخلت سيارة أركان إلى باحة القصر ولم تلبث ليلى أن
لاحظتها من النافذة حتى هرعت للخارج، لم تستطع كتم

السر داخلها أكثر، فهي تعلم جيدًا أن هناك أسرارًا لا ينبغي أن تظل كذلك طالما كانت تهدد حياة شخص ما، وعليها أن تفصح بما تعرفه لأركان دون انتظار. وها هو الآن أمامها ينظر إليها رافعًا أحد حاجبيه باستغراب، إذ لم يكن يتوقع أن تستقبله على الباب. أمسكت بيده وسحبته إلى الحديقة، وعلامات الدهشة لم تفارق وجهه. تضاعفت دقات قلب ليلى، لم تكن تظن أن الأمر سيكون صعبًا لهذه الدرجة. وعندما تجمعت الكلمات في لسانها وكادت تخرج، هاتف أركان رن، استأذنها أركان وفتح الخط، ثم طفى الدم في عينيه من الغضب وهو يقول:

المقتنع... لقد.. خطف أمير.

لم تدرك ليلى بعد ما سمعته توا، هل يمكن أن تكون قد أخطأت السمع؟ كيف يمكن أن يخطف المقتنع أمير، وهل

يستطيع شخص خطف نفسه؟ ماتت الكلمات في حلقها ولم

تستفق من شرودها إلا على صوت محرك سيارة أركان

التي انطلقت بسرعة، وتكاد عجالاتها تجز العشب.

لا ألم أشد من ألم الفراق، صعب التعود عليه
ففكل مرة يأتي بمذاق مختلف"

وصل أركان إلى الغابة، ترحل من سيارته ودخل الطريق
الغابي الذي تحفه أشجار الصنوبر الشاهقة يلفه هدوء
مريب، إلا من أصوات الطيور التي ترحب بالزائر الجديد
من فوق الأشجار. ظل يمشي لنصف ساعة حتى وصل إلى
بيت مهجور غادرته الحياة منذ زمن، وأصبح وجهة
جميلة تقصدها الأفاعي والخفافيش، هيا أركان قاده
مسدسه وسار بخطى حذرة نحو المنزل، وعيناه تراقبان
المكان. دفع برجله الباب فانفتح محدثا صريرا مخيفا،

وظهر من خلفه أمير مكبلا ومكتوم الصوت ينظر إليه بعينين متورمتين من شدة التعذيب. ركض نحوه، حرره، وأزال الشريط اللاصق من فمه برفق. لم ينبس أمير ببنت شفة، وتجمعت الدموع في مقلتيه وهو يتابع خوف أخيه عليه. أسنده وغادرا المنزل رغم أنه يشعر في قرارة نفسه أن هنالك خطبا ما، لكن الوقت لم يكن كافيا لتفكير في مفاجآت المقتنع، أيًا كانت خطته عليه، أن يسرع ويصل إلى السيارة قبل أن ينفذها. لكن القناص الذي يختبئ فوق البيت المهجور حدد هدفه وضغط إصبعه على الزناد، وتلك الرصاصة انطلقت ولن يمنعها شيء من الوصول إلى هدفها.

لقد تمت الخطة بنجاح ومزقت الرصاصة الخائنة جسد أمير ليتهاوى أرضًا غارقًا في دمائه، وهربت طيور الغابة مستاءة من الزائر الذي أزعج سكينتها.

لم يستطع أركان استيعاب ما يجري، فعقله لن يتقبل موت
شخص آخر بسببه. شق قميص أخيه وحدد المكان الذي
مرت منه الرصاصة. لقد اخترقت صدره وكادت تصيب
قلبه. نزع قميصه ولفه حول جسده محاولاً إيقاف النزيف،
ثم حمله على ظهره وواصل طريقه نحو السيارة.
وأمامه يسير ذلك الولد وهو يحمل شقيقه الأصغر مجروح
الركبة على ظهره. كان الصغير يصرخ مشجعاً أخاه
الأخافت

_ هيا يا بطلِي، بطلِي أركان قادم.

سالت دموع مريرة من عيني أركان وتلك الذكريات
تتراقص أمامه. لم يكن وحده من مرت من أمامه تلك
الذكري، فقد أُرْدِف أمير بصوت خافت:

"بطلِي أركان قادم."

اعتصر قلبه ألمًا وهو يحمل شقيقه الأصغر ثانية، لكن
هذه المرة لم يكن مجرد جرحًا صغيرًا في ركبته. كل شيء
يكبر عندما تكبر، حتى جراحنا تتسع دائرتها ويزداد
عمقها.

ثم توقف أركان بطلب من أمير وأسنده برفق إلى جذع
شجرة عجوز ليريح جسده المصاب، وهو يزفر الهواء
بصعوبة وإرهاق. ثم تفاقم شعور أركان بالعجز عندما
تسللت كلمات أمير من بين شفثيه الملوثة بالدماء:

لقد كنت أغار منك كثيرًا... أبي كان يحبك أكثر مني
رغم أنك لست ابنه الحقيقي.

حاول أركان إسكات شقيقه لكنه واصل والألم يقطع

صوته:

_ كرهتك رغم أنك كنت بطلي الذي ينقذني دائماً.

أردف أركان بياس:

_ لكنني لا أستطيع إنقاذك هذه المرة.

_ لا عليك، لا أحد يستطيع إنقاذنا من قدرنا.

صمت أمير للحظات ثم أضاف بابتسامة مؤلمة:

_ هل تذكر مزهرية أبي المفضلة التي كسرت؟ كنت أنا

من كسرتها، لكنك أنت من بقيت دون عشاء ليلتها.

_ أمير أرجوك يكفي السيارة لم تعد بعيدة هيا لنواصل.

_ لكنني أرى الموت أقرب منها يا أخي... احذر من صوفيا

إنها أفعى سامة تكيد لك شرًا، فهي تتعامل مع المقنع كما

إنها جعلتني أحرق كل الوثائق التي تدل على أن أبي
تبناك. أرجوك سامحني يا أخي.

ثم أغمض عينيه وفارقت الروح جسده، وعانقه شقيقه
الأكبر بشدة وهو يذرف دموع الفقد ذلك الألم الذي لم
يستطع التعود عليه أبدا.

زرعت ليلى الغرفة جيئة وذهابا وكلمات صوفيا تتردد في
ذهنها، لا يمكن أن تكون قد سمعت خطأ ثم ذهبت في اتجاه
غرفة صوفيا، طرقت الباب وعندما لم تجد ردا اقتحمت
المكان، كانت تجلس على كرسيها الهزاز وهي تنظر عبر
النافذة الواسعة إلى الفراغ ولم تلاحظ وجود ليلى التي
تقدمت نحوها بخطى ثابتة، التفتت صوفيا على حين غفلة،
ثم أردفت ليلى بغضب:

أعرف كل خطتك أيتها الداھية.

نهضت من كرسيها واقتربت منها كما تقترب الأفعى من فريستها. مررت أصابعها على شعرها وقالت بدهاء:

وما الذي تعرفينه؟.

أجابت:

أعرف أنك تودين الإيقاع بأركان كي يسيطر ابنك على الشركة والقصر.

ضحكت صوفيا وأردفت بسخرية:

رائع! كنت أظنك غبية لكن كلمة إيقاع ليست في محلها، ربما تقصدين التخلص.

قالت:

تعترفين إذا... ألا تخشين أن أخبر أركان؟.

أجابت:

وهل سيصدقك فتاة عرفها بالأمس ويكذب أمه؟

ردت:

أنت لست أمه الحقيقة

أجابت:

_وعرفتِ هذا أيضًا... لست سهلة حقًا إذا دعيني أشرح

لك خطتي_

ثم أخذت تدور الغرفة وواصلت قولها:

_نعم، أريد القضاء على أركان. إنه مجرد ابن متبنى قذر

أتى من الشارع. لم يكن لدي أطفال حينها، وكان يعمل مع

زوجي. أذكر ذلك اليوم الذي رأيته فيه أول مرة. كم كان

قذرًا ومثيرًا للشفقة_

عادت بذاكرتها إلى ذلك اليوم الماطر، حيث كانت حركة
المرور معطلة، والسيارات تزعق في محاولة للعبور.
السيارة السوداء الضخمة كانت تنتظر فرصة للتحرك،
وفي المقعد الخلفي يجلس شاهين كارا، أحد أغنى رجال
الأعمال في إسطنبول. شاهين كان لا يزال في الثلاثين من
عمره، تشي ملامحه بالقوة والوقار. بجانبه زوجته
صوفيا، عارضة الأزياء المشهورة. كانا يشعران بالملل
بسبب الانتظار حتى دق ولد في عمر الثالثة عشر نافذة
السيارة. الولد كان أشعث الشعر، مغبر الوجه، إحدى
عينيه سوداء والأخرى رمادية. مبتلاً بالكامل، تلتصق
ثيابه البالية بجسده النحيل.
قام شاهين بإنزال النافذة وعرض عليه الولد شراء علبة
سجائر. ابتسم الرجل وسأله قائلاً:

_ هل تعرف أن السجائر قاتلة؟ _

أجاب الولد ببرود:

_ أعرف _

قال شاهين:

_ إذا تعترف بأنك تبيع سمًا قاتلاً للناس _

_ نعم، لأنهم يستحقونه _

تفاجأ شاهين من رده الجريء ثم أضاف:

_ لماذا برأيك يستحقونه؟ _

_ لأنهم أوغاد. لو لم يكونوا كذلك، لما رأيت أطفالاً

يعملون في الشوارع تستغلهم العصابات _

قال شاهين:

_ يبدو أنك فهمت الحياة مبكرًا... ما اسمك أيها الولد؟ _

تردد الولد للحظات ثم أجاب:

_ أركان... والآن إذا انتهت أسئلتك، هل ستشتري أم لا؟.

ضحك شاهين وأخرج بعض الليرات من جيبه وقدمهم إلى

أركان الذي عدّهم وأخذ ثمن السجائر. ثم أعاد له الباقي

ليقول شاهين:

_ خذها إكرامية.

أجاب الولد:

_ نحن لا نقبل الإكراميات، لا نأخذ سوى حقنا.

أعطاه بقية النقود، ثم ذهب. ظل شاهين يتابعه بنظارات

إعجاب، ولكن أركان قطع الشارع وعندما انتبه إلى

الحافلة قادمة، كان الألوان قد فات. فقد اصطدمت به

وسقط أرضاً وتدحرجت علب السجائر على أسفلت

الشارع. خرج شاهين من سيارته ركضاً نحو أركان، ومنذ

ذلك الحادث لم يفارقه أبدًا وتبناه قانونيًا. وعندما بلغ
الثامنة عشر، أصبحت ذراعه اليمنى وأدخله في تجارة
الألماس. حتى بعد ولادة أمير وسارة، لم يستغن عن
أركان وأحبه أكثر من أولاده الحقيقيين.
ثم واصلت صوفيا قولها بحدة.
_والآن زوجي قد مات، ولم يعد هناك داعًا لتحمله. لن
أسمح له بسلب أملاك ابني.
ثم أخرجت سلاحًا من درج الطاولة وصوبته نحو ليلي.
كانت فوهته أمام عينيها، ودقات قلبها تتزايد، والشعور
بالنهاية القريبة يتفاقم داخلها. شعور أنك قريب من
الموت مفرع، يشل أطرافك عن الحركة ويجمد عقلك
"الخائف لا يفكر"، قفز هذا الاقتباس الذي قرأته في
إحدى الكتب إلى ذهنها فجأة. عليها أن لا تخاف. الثواني

تمر ويبدو أن صوفيا مستمتعة بخوفها ولا تريد إنهاء هذه
المتعة باكراً. لقد تعلمت ليلى طوال الشهر حركات الدفاع
عن النفس، وحين الوقت لتستخدم أحدها.

فأمسكت بمعصم صوفيا بحركة مفاجئة ورفعت ذراعها
إلى الأعلى بسرعة خاطفة وغيرت مسار الرصاص
ليستقر في السقف. ثم ركلتها على معدتها، وسقط السلاح
في زاوية الغرفة. حاولت صوفيا الوصول إليه، لكن ليلى
منعتها وطرحتها أرضاً. سقطت هي الأخرى بعد عرقلة
من قدم صوفيا. ظل الصراع قائماً بينهما، كل واحدة
تحاول الانتصار على الأخرى، إما بخنقها أو تعطيل
حركتها وجلب السلاح.

وبالرغم من أن ليلي كانت الأكثر شبابًا وحيوية، إلا أنها
هزمت من السيدة الخمسينية التي لم تظهر التجاعيد بعد
في عضلات عقلها. إذا قامت بسحب غطاء الفراش ولفه
بها حتى لا ترى شيئًا، ثم ركضت إلى المسدس، أحكمت
مسك المقبض ووجهته نحو ليلي. التي لا تزال تحاول
التحرر من الغطاء الملتف حولها.

هذه المرة لن تضيع صوفيا ثانية واحدة. لكن في تلك
الثانية، سقطت جثة هامة بعد أن اخترقت رصاصة
جمجمتها من الخلف.

كانت الجثة لا تزال في مكانها عندما تحررت ليلى من ذلك
الغطاء اللعين، لتجد أركان عاريا الصدر تلتطخه الدماء
وهو يمسك بالمسدس وينظر بعيون فارغة من أي شعور
أسرعت نحوه تتفحصه لكنه لم يكن مصابًا سألته "ماذا
حدث؟ لكنه لم يجيبها وكأنه لم يلحظ وجودها وهي تقف
أمامه، لم يبعد أنظاره عن الجثة ظل صامتًا لدقائق وأذناه
لا تلتقطان صوت ليلى إلى أن أطلق ضحكة هستيرية ثم
ضحكات متتالية ورمق ليلى بنظارات مخيفة وهو يقول:
_سيدفعون الثمن جميعا.

"الأسرار صناديق مغلقة لا ينبغي فتحها "

حجبت السماء بسحب داكنة كشباك العنكبوت، الرياح
تعصف بالأغصان وحفيف أوراقها كحفيف الثعابين، في
مكان بعيد عن المدينة ينام قصر في عزلة محاطا بأشجار
متشابكة تلفت حول أعمدته الرخامية المتهاكلة، وتنعكس
أطلال الماضي على واجهة هذا القصر المنسي الذي
هجره سكانه وحيكت حوله قصص الرعب، توقفت سيارة
أمام بوابته الصدئة نزل منها المقنع وبدا عليه التوتر ولج
إلى داخل القصر وطرق الباب انتظر لدقائق ثم انفتح
ليكشف عن عجوز أحذب أشعث الشعر مغبر الوجه يُعرف
بالأحذب المجنون لكنه لم يكن كذلك فعلا فالدهاء والشر

يتطاير من عينيه الناعسة وجنونه ليس إلا كذبة لمنع
الناس من الاقتراب من هذا القصر واكتشاف الأسرار التي
تقبع خلف جدرانه المتداعية
رحب العجوز بالمقنع بابتسامة كشفت عن بضع أسنان
تقاوم السقوط ثم قاده عبر الممرات الملتوية إلى غرفة
فارغة

إلا من مكتبة رصفت فيها كتب قديمة ملأتها أغبرة الدهر
اقترب العجوز من المكتبة وقام بتحريك أحد الكتب
لتنزح من مكانها وتكشف عن باب سري خلفه درج
يقود إلى الأسفل, نزل المقنع وحده فقد اعتاد الطريق
سار في الممر المؤدي إلى تلك الغرفة الهدوء مطبقاً على
المكان ما عاد صوت وقع أقدامه وأنفاسه التي تتردد في
نسق سريع وقف قبالة ذلك الباب الكبير الذي يحرسه

اثنان من الحراس الأشداء نطق بكلمة السر ثم فُتح الباب
أمامه كان هنالك ثلاثة أشخاص متحلقين حول طاولة
دائرية الشكل وُضعت فوقها شموع تحتضر ببطء تكشف
عن جزء من شعورهم وحواف ثيابهم أما وجههم فقد
كانت تختبئ خلف قناع أسود يظهر عيونهم، جلس المقنع
بهدوء وأخذ يتفرس في عيون الحاضرين محاولاً العثور
على إجابة عن سبب هذا الاجتماع المفاجئ في هذه
الساعة المتأخرة من الليل ثم تنحج أحدهم وكانت سيدة
ثلاثينية ينسدل شعرها الأشقر على كتفيها تضع قفازات
سوداء وترتدي ثوبا كلاسيكيا قصيراً تلمع عيناها
الزرقاوان بخبث وهي تقول:
_ لا تنظر إلينا بهذه الطريقة نحن مثلك لا نعرف سبب هذا
الاجتماع الطارئ.

ثم أضاف رجل بدين يرتدي طقما أسود تكاد أزرار قميصه
تفر من شدة الضغط:

_نعم نحن لا نعرف شيئاً وليس من حقنا سؤال
الزعيم، لكن أليس غريباً أنه لم يخبرك وأنت أقرب شخص
إليه من بيننا؟_

لم يعلق المقنع على كلامه وحول بصره إلى الرجل الثالث
الذي كان غارقاً في صمته مغمضاً عينيه بكل هدوء إلى
أن فتحها فجأة عندما التقطت مسامعه صوت خطوات
قادمة وعكاز يرتطم بالأرض بقوة مع كل خطوة، ثم تغير
جو القاعة في لحظة واحدة، وتوقف الأربعة عن الحديث،
وانحسرت الدماء عن وجوههم عندما وقف أمامهم بهيبته
المخيفة. حتى الشموع ارتعش لهيبها في وجوده. كان
يضع قناعاً أحمر دمويّاً ويرتدي بدلة سوداء وخاتماً

بنقش عقرب. يمسك بعكاز ذهبية تزينها نقوش غريبة.
جلس إلى مقعده وأمر أتباعه الذين وقفوا له احتراماً، أو
ربما كان الخوف الدافع الوحيد لذلك. استمر الصمت
القاتل للدقائق، والزعيم يتفحص وجههم القلقة المترقبة.
ثم تحدث بصوت قوي يهوي على الصمت فيقتله:
_لأنني أمقت المقدمات السخيفة سأدخل في صلب
موضوعنا وهو أركان كارا.

اتسعت عينا المقتع عند سماعه لاسم غريمه، وتكورت
يده في شكل قبضة قوية. وقد لاحظ الزعيم غضبه. ثم
واصل كلامه:

**لَقِظْ نَفْذَ فِي الْأَسَابِيعِ الْفَارِطَةِ هِجَمَاتٍ عَدِيدَةً عَلَى
مَصَانِعِنَا فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ، وَتَسَبَّبَ لَنَا فِي خَسَائِرِ فَادِحَةٍ.
أُظِنَ أَنَّ أَحَدَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهِيَ انْتِقَامَهُ لِأَنَّ صَبْرِي قَدْ بَدَأَ
يَنْفِذُ.**

**لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُقْتَعُ أَنْ يَظِلَّ هَادِئاً، فَقَالَ وَقَدْ تَكْسَرُ صَوْتُهُ
بِالْخَوْفِ وَالْغَضَبِ:**

لَوْ أَنَّكَ تَسْمَحُ لِي بِقَتْلِهِ أَيُّهَا الزَّرْعِيمُ.

**لَنْ تَقْتُلَهُ، الْمَوْتُ سَيَكُونُ هَدِيَّةً لَهُ حَتَّى يَرْتَاحَ مِنْ عَذَابِهِ.
أَفْضَلُ انْتِقَامٍ هُوَ أَنْ تَجْعَلَهُ يَشْعُرُ بِمَا شَعُرْتَ بِهِ.**

تعاقبت الأيام ثقلاً، ولم يبق في القصر الكبير سوى أركان
وليلي وعمتها. لم تعد هناك عائلة تجلس حول مائدة
الطعام. تلاشت الضحكات وقل الحديث. أصبح أركان
يقضي وقته في اقتحام أماكن العصابة، يخرب ويقتل دون
شفقة. وليلى كانت تحاول إخراجه من دائرة الألم، لكن
محاولتها باتت بالفشل. أما العمة مليحة، فكانت الوحيدة
التي تستمتع بحياتها ونصبت نفسها السيدة الجديدة
للقصر.

كان كل شيء يمر برتابة مملة كالأسطوانة المشروخة،
إلى أن ألقى المقنع بحجارة عكرت بركة الماء الهادئة.

عندما استيقظ أركان ووجد طائرة صغيرة أمام نافذة
غرفته.

كانت تحمل ظرفاً أسود مثبتاً بخيط. فتح النافذة وألقى
نظرة سريعة يبحث عن المتحكم فيها. ثم أخذ الظرف وفي
الوقت نفسه وجدت ليلي الظرف ذاته في طرد وصل
باسمها منذ نصف ساعة، كما أخبرتها عمتهما.
فتح أركان وليلي الظرفين في الوقت ذاته، وقرأ تلك
الكلمات:

"ثلاثتكم ستأتون إلى هذا المكان، لو أردتم أن لا يتأذى
أحد."

ليقولا باستغراب: "ثلاثتنا"

"تتسرب أشباح الماضي وتتراقص أمامنا وهي تسخر من خرافة النسيان"

فتح عينيه ببطء على ضوء قوي ينبعث من مصباح معلق
على السقف. يتأرجح يميناً وشمالاً، مصدراً صوت مخيف.
شعر بالألم في كل خلية من خلايا جسده وصداع حاد يشق
رأسه.

وبدأت ذاكرته تسترجع ما حدث قبل أن يفقد وعيه، عندما
ركض نحو مرآب السيارات والظرف في يده، ليجد ليلى
في انتظاره. لكنه رفض أخذها معه حفاظاً على سلامتها،

رغم أنها كانت تحمل الظرف ذاته. جلس إلى مقود سيارته
وتركها تصرخ خلفه وانطلق. لسانها يقذف وابلًا من
الشتائم. ومن سوء حظ أركان، عطلت حركة المرور سيره
وظل ينتظر أن تتزحزح الشاحنة الكبيرة من أمامه. وهو
يشعر بالدم يتدفق في عروقه، تساوره رغبة في تفجيرها
ومواصلة طريقه. طرد هذه الأفكار الإجرامية من رأسه
وأجال بنظره إلى الجهة المقابلة، فوجد ليلي تلوح له
بابتسامة نصر من خلف نافذة سيارة أجرة.

رص على أسنانه من شدة الغضب ونزل مصفقا باب
السيارة خلفه. فتح الباب الخلفي للسيارة الأجرة وهما
بسحب ليلي. "من الأفضل أن تصعد أنت أيضًا، فوجهتنا
واحدة." أردف السائق وهو يخرج من جيبه الظرف

الأسود الثالث، وسط زهول أركان وليلى. ثم انطلق الثلاثة نحو مصيرهم. انتهى سيل ذكرياته إلى هذا الحد، ونهض بصعوبة وتفحص المكان حوله بنظرة سريعة.

كان داخل غرفة صغيرة، تحيط به جدران زجاجية قائمة. تتبعث منها أشكال وضلال متراقصة. حاول كسر الزجاج، لكنها كانت صلبة للغاية. دار في الغرفة وهو يصيح بصوت كهزيمة الرعد:

_أين أنت؟ هيا، اخرج وواجهني، أيها اللعين.

بعد مرور بضع دقائق، جاءه الرد الذي شل حركته بالكامل وضاعف دقات قلبه. فقد تحولت الجدران الزجاجية إلى شاشات عرض ثلاثية الأبعاد. انعكست تلك الصورة على حدقتيه المتسعيتين. كانت لمجموعة أطفال

بملايس نظيفة يقفون أمام مبنى قديم. ينظرون بعيون
جوفاء، اختفى منها بريق الطفولة. ثم التفت في محاولة
منه للهرب من نظارتهم القاسية، ليصطدم بصورة أخرى
في الجدار الثاني.

تظهر فيه فتاة شقراء ذات ظفرتين، تتراقص عيناها
الزرقاوان بمرح. ترتدي ثوبًا ورديًا تآكلت أطرافه. على
يسارها، طفل مستدير الوجه، كستنائي الشعر يفتر ثغره
على ابتسامة مرحة. أما على اليمين، يقف طفل آخر
عابس الوجه، ذو شعر أسود وعينين مختلفتي اللون.
يضع يديه في جيوب بنطاله ويتحاشى النظر إلى عدسات
الكاميرا.

ورجع إلى الخلف ليصطدم بالجدار الثالث، الذي عرض
صورة أخرى. ولكن هذه المرة، كانت جزءًا من صحيفة

تحمل عنوان "جريمة قتل تهز ميتًا غير قانوني". نفذت
طاقته على التحمل، وركض إلى الباب، حاول تحطيمه لكن
من دون جدوى. حتى كشف الجدار الرابع عن المفاجأة
الأخيرة. حينها تسمر أركان في مكانه، عندما رأى ذلك
الرجل الطويل، ذو الملامح القبيحة والابتسامة الخبيثة.
تجمعت حبيبات العرق في جبينه وزاد معدل ضربات قلبه
و تسارع نسق تنفسه وانقبضت عضلات جسده، كانت
مجرد صورة ثلاثية الأبعاد، لكنها بدت بالنسبة إليه أكثر
واقعية. لو لم يكن من قتله بنفسه، لظن أنه هو من يقف
أمامه بشحمه ولحمه. لقد أطلق المقتنع سراح أشباح
الماضي، التي كانت تختبئ في زوايا مظلمة من ذاكرة
أركان، وجعله وجهًا لوجه أمام أسوأ كوابيسه. ضاقت
عيناه وشعر بأيدي ذلك الرجل تعصر رقبتة، وخرج أولئك
الأطفال من الصور والكل ينظر إليه ويشير بأصابعه

نحوه، تتعالى أصواتهم بهمهمات غير مفهومة. هرب
منهم إلى زاوية الغرفة يرتعش جسده من الخوف، ثم
اختفى الأطفال فجأة وظهر ذلك الرجل ملقى على الأرض
غارقاً في دمه. تلاشت قوى أركان وسحبته دوامة من
الأوعي إلى الأسفل حتى فقد وعيه.

"لا يشفى من جرح في طفولته"

سقطت آخر ورقة من شجرة عارية تنتصب على حافة الطريق، ورقصت رقصتها الأخيرة مع الرياح، معلنة أن وقت الرحيل قد حان. ثم عانقت الأرض بهدوء قبل أن تتكسر تحت أقدام رجل يحث الخطى. مسح حبات العرق التي تجمعت على جبينه، رغم رطوبة هذا الصباح الخريفي. ثم رفع رأسه إلى السماء وعقد حاجبيه. فقد تشكلت السحب الداكنة، وظهرت الشمس من خلفها باستيحاء. عليه أن يسرع قبل أن تمطر. جذب الصبي الذي كان معه بقوة من يده الصغيرة، وواصل طريقه وهو يتمتم بالأدعية. وعندما بدأت أول زخات المطر تتساقط،

وصل الرجل أمام بوابة حديدية صدئة. دفعها فأحدثت
صريرًا مخيفًا. نظر إلى الصبي بوجه عابس، ثم انحنى
إلى مستواه ورسم ابتسامة مزيفة على شفثيه الغليظتين،
وقال:

_ سيكون هذا منزلك الجديد.

_ عمي أحمد، لماذا لا أحد يريدني؟

سأل الطفل براءة.

_ ما هذا الكلام يا صغيري؟

_ لقد سمعت حديثكم، لا أحد من الجيران يريدني، حتى

زوجتك رفضت. هل أنا طفل سيئ؟

قاوم العم أحمد رغبته في البكاء ورد بصوت متحشرج.

أنت صبي جيد ومهذب يا أصلان، لكننا خسرنا منازلنا
وأعمالنا وسيعود أغلب أهالي الحي إلى الضيعة والحياة
هناك قاسية بالكاد يعيلون أطفالهم أما أنا سأنتقل مع
عائتي للعيش مع أحد الأقارب في وسط إسطنبول لن
أستطيع أخذك معي ولو أردت ذلك.

خبأ عينيه تحت قبعته مخفياً دموعه ورحل مهرولاً دون
توديع سركان، وغاب في أحشاء الطريق. ثم أخذ الطفل
نفساً طويلاً ودخل فناء المبنى القديم، الذي يرتفع إلى
طابقين. تحيط به حدائق تشي بالإهمال، يتوسطها حوض
دائري من المياه الراكدة، تطفو على سطحه الأوراق
الطافية والحشرات الميتة. وخلف المبنى تظهر بقايا
مرممة لمرمى كرة قدم وأرجوحة صدئة تتراقص بلطف
بفعل همسات الريح. بدأ المطر يشدد وأصبح الصبي بينما
يحمل حقيبته القديمة ويحتمي تحت قميصه من الأمطار،

يطرق الباب الخشبي لينفتح بعد دقائق. ظهر رجل طويل
القامة، عريض المنكبين، انتشرت في وجهه النحيل ذقن
غير مرتبة، يعلوها أنف حاد يتطاير منه الشر أحياناً. ألقى
على الصبي نظرة متفحصة، ثم ابتسم بمكر، وبدا كذئب
سعيد بخروفه الجديد. ثم دخل أصلان خلف الرجل، وكان
الميتم من الداخل أكثر هدوءاً، وكأنه مهجور، إلى أن ظهر
أول طفل وثاني ثم خرج جميع الأطفال تباغاً ووقفوا في
طابور منتظم، ورؤوسهم منحنية تكاد تلتصق عيونهم في
الأرضية الملساء، كأنهم يقفون أمام "السلطان سليمان".
ثم أرفف الرجل صاحب الميتم بصوته الغليظ:

هذا زميلكم الجديد أصلان رحبوا به.

لم يبد الأطفال اهتمامهم واكتفوا برفع رؤوسهم والنظر
إليه بنظرات باردة سُرق منها مرح الطفولة لكن من

سرقها؟ هل هي الحياة التي قادتهم إلى هذا المكان؟ أم شيء آخر.

الأيام الأولى بسلام بالنسبة لأصلان. فقد كان يُعامل بطريقة جيدة من صاحب الميتم الذي كان يدعى جنكيز. لكنه لم يستطع تكوين صداقات، فقد كان كل الأطفال يتجنبونه ويهتمون بأعمالهم، ولم يعرف سبب ذلك. أما العم أحمد، فقد وفى بوعدده وكان يزوره يوميًا دون انقطاع، فيجلسان سويًا في فناء الميتم ويحدثه سرعان عن المعاملة الجيدة التي يتلقاها وعن تفاصيل يومه.

لكن يومًا بعد آخر بدأت زيارات العم أحمد تقل، إلى أن انقطعت تمامًا مع دخول فصل الشتاء. لقد كان العم أحمد أنيسه الوحيد، ومع رحيله أصبح وحيدًا تمامًا. ولم يكن يعلم أن رحيله سيكون بداية عذابه. ففي صباح باردٍ من

شهر نوفمبر، كان أصلان يجلس في فناء الميتم ويلقي
بالحجارة في حوض الماء لتتشكل دوائر ثم تختفي. تسلل
اليأس إلى قلبه وأيقن بأن العم أحمد قد تخلى عنه أيضًا.
"تري لماذا لا أحد يريدني؟"

خاطب نفسه وهو ينظر إلى انعكاس ملامحه الحزينة في
بركة الماء الراكدة، وفجأة غطس رأسه داخلها ولمح
الطحالب التي التصقت بالحوض. احتبست أنفاسه
وتباطأت دقات قلبه وكاد يخنق لولا أن تلك اليد التي
تمسك شعره أخرجته في اللحظة المناسبة. شهق الطفل
وبدأ يسعل بشدة وقد احمر وجهه وعيناه تكاد تخرج من
محجريهما، ثم تسمر مكانه وظل يحرق بدهشة إلى جنكيز
الذي يقف أمامه بسحنة غاضبة وقد خلع عنه رداء الطيبة
وأظهر وجهه الحقيقي. كيف يمكن لشخص أن يكون لهم

هذه القدرة الهائلة على التظاهر تمامًا كالحرباء التي
تتلون كي تخدع أعداءها وضحاياها؟ أفاقه من شروده
بصفعة قوية طرحته أرضًا، ثم بدأ بشتمه بكلمات لم
يفهمها كما لم يفهم سبب هذه المعاملة السيئة، لكنه يعلم
الآن بأنه سيصبح واحدًا من أولئك الدمى الباردة التي لا
حياة فيها.

وفي المساء انتقل أصلان من غرفته المريحة في الطابق
العلوي إلى مهجع الأطفال في الطابق الأرضي وكان
عبارة عن مجموعة من الغرف منقسمة بين الأولاد
والبنات.

دخل أصلان الغرفة التي في آخر الرواق وكانت واسعة،
احتوت خمس أسرة مزدوجة بأغطية بالية. تتسلل خيوط
القمر من نافذة صغيرة أعلى الجدار لتسكب في أرضية

من الجليز. أخفى أصلان عبوسه عندما نطا ذلك الصبي
ذو الشعر الكستنائي والملاح المرححة أمامه. لقد تذكره
أنه الولد الذي لوح له في الصف في اليوم الذي دخل فيه
إلى الميتم، كان مليئا بالحياة كلون مميز وسط لوحة بلا
ألوان رحب.

وأخبره بأن اسمه سليم ثم قاده إلى السرير الذي يقع تحت
سريره جلس أصلان ووضع حقيبة ظهره بجانبه ثم نظر
إلى الأسرة المجاورة وسأل مخاطبا الأولاد الذين
يتحاشون النظر في عينيه:

لماذا صفعتني أنا لم أخرج من الميتم, كنت في الفناء؟

فرد ولد بينهم بينما نظر البقية إلى الأسفل

_ ذلك هو جنكيز عندما تتالى زيارات أقارب طفل جديد

إلى هنا يظهر قناع الطيبة فيعامله جيداً وعندما تنقطع

زيارتهم يظهر وجهه الحقيقي.

ثم أضاف آخر:

_ لا تحزن أغلبنا مر من الطريق نفسه , الوغد جعلنا

عبداً عنده.

_ ألا تأتي العائلات لتبنيكم؟

فضحك ولد كان الأكبر سناً بينهم:

_ إن هذا الميتم غير قانوني بعيد عن أنظار المدينة لا أظن

أن أحداً سمع به , ثم من هذه العائلة التي ستتبنى طفلاً من

ميتم قدر كهذا... هنا يا صغيري لا يقع تبني الأطفال بل

المتاجرة بهم واستعبادهم وعندما يبلغ الفتيان منهم سن

الثامنة عشر يقع بيعهم للعصابات للعمل في الأعمال غير

القانونية أما الفتيات ممن يبلغن هذا السن فيتم بيعهن إلى
الملاهي الليلية .

ثم الحزن المكان لكن سليم غير الأجواء وبدأ بتعريف
الأطفال لأصلان وهو يقول:

ـ ذلك الأشقر هو كريم هو خجول قليلا وذلك سامح يحب
الطعام ويأكل كثيرا ثم اقترب وهمس يمكن أن تلاحظ هذا
من بدانته وذلك هو عاكف غامض وقليل الكلام لكنه ذكي
أما الذي كان يخاطبك قبل قليل اسمه أكين هو الأخ الأكبر
لتوأمان يزن وزين وواصل سليم تعريف البقية وبعد
جلسة التعارف خلد الجميع إلى النوم .

استيقظ أصلان بفزع في اليوم التالي على صوت صفارة
تشبه صفارات الإنذار، وأخبره سليم بأن عليه الاعتياد
عليها فستكون منبهة الجديد. وقف أصلان في الصف مع

بقية الأولاد وكان يظن أن جنكيز سيحضر، لكنه لم يأت
وجاءت بدله خادمة ذات بشرة سوداء قادتهم نحو قاعة
الطعام بعد أن فتحته بواسطة مفتاح كان معلقاً على
رقبته. جلس الأطفال حول طاولة مستطيلة الشكل، ثم
قدمت خادمة أخرى وقدمت الخادمتان أطباقاً حديدية
احتوت عصيدة بيضاء. تناول الجميع إفطارهم وهم
يدفعون اللقمة داخل أفواههم بسرعة قبل أن ينفذ الوقت
المخصص لطعام، ثم ينهضون إلى أعمالهم. فأما الأطفال
الذين تجاوزت أعمارهم العاشرة يخرجون إلى الشوارع
لبيع السجائر والعلك، أما البقية فالفتيات منهم يشتغلون
في الأعمال اليدوية، أما الأولاد يعملون في أرض جنكيز
المجاورة للميتم.

وهكذا مرت أيام أصلان في جمع حبات الطماطم وإزالة
الأعشاب الضارة حول المزروعات، حتى خشنت يداه
وَأُتِلت آخر ذرة طفولة في ذلك اليوم. عندما ضربه جنكيز
بالسوط ضربًا مبرحًا من دون أن يرف له جفن أمام جميع
الأطفال. فقط لأن صندوق التفاح المسؤول عنه كان
ينقصه تفاحة ولسوء حظ أصلان قد قام جنكيز بعد
التفاحات مسبقًا قبل تسليم الصندوق للزبون.

أغمض الولد الصغير عينيه مستسلمًا لوابل من الضربات
تأتيه من كل مكان، وكاد يموت لولا أن صاحب الميتم
القاسي شعر بالتعب فتركه وأمر الخادمتين بأن يحرموه
من وجبة الشاء، وحذر الأطفال من مساعدته. ثم صعد
إلى غرفته وهو يضرب الأرض بحذائه في غضب. أما

أصلان فقد نهض بصعوبة يكتم تأوهاتة بسبب الألم الذي
هاجمه في كل خلية من جسده. سار ببطء وسط صمت
الأطفال ونظراتهم العاجزة، لكنه ابتسم ابتسامة ملونة
بالدم." وتوجه إلى الغرفة وهو يستند إلى الحائط، وعندما
وصل ارتدى على فراشه وأطلق تأوهاتة المكتومة بعد
لحظات دق الباب ثم انفتح لتظهر من خلفه طفلة شقراء
بعيون زمردية يبدوا عليها الحياء تضع يديها خلف ثوب
ورديا بال، اقتربت من سريره ثم قالت بصوت خافت:

_أنا آسفة .

رد أصلان:

_لا داع للاعتذار.

_لقد ضربك بسببي، أنا من أكلت التفاحة.

كنت مريضة، وأغمي عليك بسبب الجوع لذلك قدمت
إليك التفاحة , لم تكن غلطتك.

صمتت الفتاة ثم أخرجت يديها من خلف ظهرها و كانتا
تحملان رغيف خبز بالجبن، قدمته إليه لكنه رفض أخذه
قائلا:

أنا لست جائعا .

فوضعتة على الطاولة وهي تقول

ربما تشعر بالجوع لاحقا.

ثم ركضت خارجًا، ثم أخذ أصلا ن رغيف الخبز، تطلع إليه
للحظات ثم أكله وهو يبتسم.

"حتى لو كان الواقع أليما، لا يجب أن نتوقف عن

الحلم"

استيقظ من نومه وتقدم نحو الحائط رسمت عليه خطوط

أفقية متفاوتة الارتفاع، قاس طوله الذي أصبح مناسبًا

لصبي في الثانية عشر من عمره لقد مرت السنوات

سريعا فبالأمس كان طفلا في الثامنة يخطوا أول خطواته

في درب الحياة وها هو الآن قد كبر بالفعل واعتاد العيش

في هذا الميتم فالجميع في النهاية يتعود حتى على الألم،

غير ثيابه وتسلك إلى الخارج على أطراف أصابعه كي لا

يستيقظ بقية الأولاد، ثم ذهب إلى الفناء الخلفي وصعد

على السلم إلى سطح الميتم

وجلس فوق القرميد الأحمر حيث بإمكانه رؤية إسطنبول
وهي تستيقظ من نومها ليوم جديد, كان يحب النظر
إليها في كل صباح ومراقبة شروق الشمس الذي كان
مشهدًا نادر الحدوث بسبب مناخ المدينة الرطب, لطالما
أحب أصلان إسطنبول رغم أنه لم يزرها أبدًا فقد كان
يعيش في هامش هذه المدينة في حي فقير ذو سمعة سيئة
لا يدخله أحد كما مُنع هو الآخر من الخروج من المنزل
بسبب الجرائم التي تحدث كل يوم داخله، و أخبرته أنه إن
أراد أن يستقر في قلب إسطنبول عليه أن يكون غنيًا وقد
أصبح هذا هدفه ليس لأجل المال فقط ليعيش حياة عادية
لا يستيقظ فيها على صوت الشتائم والشجار ولا ينام وهو
يسد أذنيه بسبب صوت الرصاص لا يزال يذكر تلك الليلة
المشؤومة عندما ماتت أمه برصاصة طائشة في حرب
عصابات في الحي، لا يزال يذكر حرارة جسدها وهي

تعانقه للمرة الأخيرة، ودخان الرصاصة يتصاعد كالسراب
من ظهرها، ربما مكان ولادته قدر لكن مكان عيشه
اختيار، هذا ما آمن به دائما ثم سمع صوت خطوات
خلفه

التفت ليجد تلك الفتاة الشقراء التي قدمت له رغيف الخبز
في تلك الليلة والتي أصبحت صديقته المقربة وكانت
تدعى دارين, رحب بها وجلست بجانبه تتطلع إلى السماء
التي انتشرت فيها نجوم الصباح الساهرة، أطبق الصمت
للحظات، و هما ينظران إلى السماء ثم أخرج أصلان من
جيب بنطاله قلادة فضية على شكل فراشة وقدمها إياها،
فتفاجأت ليلي وهي تنظر إلى القلادة الفضية بين يديها
وقبل أن تنبس بكلمة قاطعها وهو يقول بنجل:

إنها هدية بسيطة بمناسبة عيد مولدك, أعلم أنك تحبين
الفراشات لذلك فكرت بأنها ستعجبك، رغم أنها رخيصة
الثمن وليست أصلية لكن..

وقبل أن يواصل كلامه قاطعته بعناق، وقد لمعت الدموع
في عينيها؛ إنها للمرة الأولى الذي يتذكر أحد فيها عيد
مولدها فقبل مجيئها إلى الميتم كان والدها يعملان دائما
وعندما توفيت أمها ظلت وحيدة، حتى أتت زوجة أبيها
التي عاملتها بقسوة وألقت بها أمام باب الميتم دون علم
والدها الذي كان كثير السفر وبعد فترة علمت أن زوجة
أبيها اختلقت كذبة موتها عند عودة أبيها، لقد جعلها
جنكيز ترى جنازتها بعينيها كي لا تفكر في العودة إلى
منزلها.

شعر أصلان بالرضا التام لأنه أدخل السعادة إلى قلبها، ثم انضم إليهما سليم وجلس الأصدقاء الثلاثة وعيونهم معلقة في السماء وجدائل الشمس الذهبية تتلألأ وتشق طريقها نحوهم معلنتا عن بداية يوم جديد، كل البدايات لها مذاقها الخاص كل البدايات جميلة، هادئة، ولطيفة محملة دائما بالأمل الذي كان ينمو داخلهم رغم قسوة الحياة، كانوا وحيدين من دون عائلة كورقة تخلت عنها الشجرة في يوم خريفي، لكنها في النهاية تسقط أرضا مع بقية الأوراق حتى ولو سقطت فهي تضل مع عائلتها الجديدة.

وقف أصلان وقال بحماس يخاطب الأفق البعيدة:

أنا قادم يا اسطنبول، سأصبح أغنى شخص فيك

وسيعرف الجميع من هو أصلان.

ونهض سليم وأردف:

أنا قادم أيضا يا اسطنبول وسأصبح أشهر محقق.

ثم نهضت ليلى وقالت:

_انتظريني أنا كذلك يا اسطنبول سأصبح أشهر حمامية

وأقف في وجه الظلم.

أمسك الأصدقاء الثلاثة بأيدي بعضهم البعض ينظرون إلى

الشمس التي ارتفعت في السماء وهي تشهد على

أحلامهم.

ومر اليوم كسابق الأيام في العمل، لكن ليله كان يخبأ

الكثير من المفاجآت وأولها تلك العاصفة الهوجاء التي

حلت على المدينة ضيفاً لم يتوقعه أحد، إذ كان الصباح

مشمس في بدايته لكن البدايات ولو كانت لطيفة وجميلة

تكون في كثير من الأحيان خادعة، هطل المطر بغزارة في

تلك الليلة وكأنه الطوفان ولمع البرق وهو يشق الظلمة

إلى نصفين والرياح تعوي كالذئاب الجائعة في الخارج
تكاد تقتلع الأشجار من جذورها، ثم زاد هزيم الرعد من
قوة العاصفة وجبروتها. تحلق الأطفال حول المائدة
لتناول طعام العشاء واختبأ بعضهم تحت الطاولة خوفاً من
دوي الرعد، أما أصلان فكان هناك ما يشغله غير
العاصفة وهو اختفاء دارين وخلو مقعدها على غير
المألوف. ذهب إلى المطبخ وسأل عنها الخادمة فأخبرته
بأن جنكيز بيك قد طلبها إلى غرفته وقبل أن تكمل كلامها
صعد أصلان السلالم بسرعة واتجه إلى الغرفة وبمجرد أن
اقترب من الباب، سمع صوت دارين تصرخ وتستنجد
وهي تقول:
_ابتعد عني.

ولم يكن يسمعها أحد في الأسفل، فقد تاهها صوتها وسط
العاصفة، دفع أصلان الباب الذي كان مفتوحا ووجد
جنكيز، ذلك الذئب البشري يحاول الاقتراب من دارين
بنوايا سيئة وهي تلتصق بالجدار تدفعه بيديها الصغيرتين
عنها، أسرع أصلان وأسقطه أرضا لكنه نهض مجددا في
هيئة غاضبة وانهاled عليه بالضرب من دون رحمة ولم
تستطع دارين فعل شيء من شدة الخوف وفي تلك اللحظة
دخل سليم وضرب جنكيز بعصا كانت في الغرفة لكن
الضربة لم تؤثر فيه ودفعه بعيدا ثم نهض وحاول الاعتداء
على دارين لكن أصلان لمح سكين تقشير التفاح على
الطاولة فأخذها وصرخ بصوت حاكا هزيم الرعد والتفت
جنكيز ولأول مرة تسلل الرعب إلى عينيه بعد أن رأى
الغضب يتوهج في عيني أصلان وهو يمسك بالسكينة
وقبل حتى إن يستوعب عقله ما يحصل خرق نصل

السكين بطنه لم يكتف الولد بطعنة واحدة بل سدد له ثلاث
طعنات محملة بالكره والغضب وكل الأيام السيئة التي
عاشها بسبب هذا الوحش الذي سقط جثة هامة كم هو
هش الإنسان كلما طغى وتجبر فقط سكين تقشير الغلال
يمكنها أن تضع حداً لجبروته ومات جنكيز مفتوح العينين
تفيض عينيه بمزيج غريب من الألم والغضب ثم عما
المكان صمت ثقيل حتى العاصفة هدأت وكأنها تشاركهم
هول الصدمة وسقطت السكينة أرضاً ملوثة بالدم وتسمر
سليم في مكانه وكتمت ليلي صرخة تريد الخروج ثم
اقترب إليها أصلان وسأل بهدوء:

هل أذاك؟

بالطبع، سأقوم بإضافة العلامات التنقيط للنص:

لتجيبها بإيماءة من رأسها بمعنى: "لا" ثم دخل بقية
الأطفال وخلفهم الخادمتان اللتان أطلقنا صرخات فزع بعد
أن سمع طفل جديد الجلبة وهو ذاهب إلى غرفته في
الطابق العلوي. ثم نزلت الخادمة مسرعة، فيما ضل
الجميع مصدومًا من هول المشهد. وبعد حوالي نصف
ساعة دوى صوت سيارات الشرطة. حينها نهضت دارين
بفزع وصرخت

_يا إلهي، الشرطة قادمة... أصلان يجب أن تهرب.

لكن أصلا أردف معارضا:

_لن أذهب انا من قتلته... سأعترف.

_لا يمكن سيرمونك في السجن. أنت فعلت هذا لإنقاذي،

لن أسمح بأن تسجن بسببي.

ثم أضاف سليم:

_ دارين معها حق، لن تخسر حياتك بسببه. يكفي أنه
سرق طفولتك.. عليك أن تهرب يا أصلان، لا يوجد حل
آخر.

نظر سامح من النافذة وقال:

_ الشرطة ستصل قريباً، يجب ألا نضيع الوقت.
وتعالت أصوات الأطفال تحته على الهروب. ثم سحبته
دارين من يده نحو الباب الخلفي ولحق بهما سليم. أما
الأطفال فحاولوا تعطيل رجال الشرطة بغلق الأبواب
وقاموا بتهديد الخادمتين بفضح شراكتهم مع جنكيز في
أعمالهم غير القانونية في حال أخبروا الشرطة عن ما
رأيناه.

"في بعض الودعات، تركنا أرواحنا"

ركض الأصدقاء الثلاثة في الممر حتى وصلوا إلى الخارج، وقد بدأت السحب تنقشع ولاح القمر من خلفها. وقفوا أمام الجدار الذين تعودوا الهرب منه في أيام الأحد والتجول خارجاً عندما يسافر جنكيز إلى إسطنبول لشراء البضاعة التي يبيعونها في الشارع. ثم تبادل الثلاثة أحاديث صامتة محملة برائحة الوداع وعانقوا بعضهم البعض على أمل اللقاء في يوم ما. ثم تسلق أصلان الجدار وودع صديقيه نظرة أخيرة واختفى خلفه. أما سليم فقد أسرع إلى حوض الماء ومسح سكيناً. ألقى بسكينة داخله لتهبط إلى القاع، وسرعان ما اصطبغت المياه بلون

الدم. ولكن سليم اطمأن عندما عادت قطرات المطر
بالنزول، وهي ستتولى أمر تطهير الماء من الدماء. ثم
أمسك يد دارين التي ظلت تنظر إلى الجدار، وركض بها
إلى الداخل.

فتح عينيه على اتساعهما ونهض بفرع. نظر من حوله،
لقد اختفت الصور من الجدران وعادت أنفاسه إلى نسقها
الطبيعي. وفجأة، صدح في الغرفة همهمات تنبعث من
مكبر الصوت. وشيئاً فشيئاً، أصبحت الهمهمات واضحة،
وميز أركان صوته. إنه هو غريمه الأول والأخير المقنع
يتحدث بنبرة الاستفزاز ذاتها.

_ أهلاً وسهلاً بك عزيزي أركان، أو هل تفضل أن أدعوك
باسمك الحقيقي، أصلان؟ في الحقيقة، أفضل أركان. تعلم
أن "أصلان" يعني الأسد، وبصراحة، لا أجده مناسباً لك.

ثم ضحك ضحكات لا يمكن أن تعود لشخص عاقل. بينما
زاد حنق أركان وانقبضت قبضته. وواصل المقنع حديثه
قائلاً:

ما رأيك أن نلعب معاً لعبة ممتعة؟ إنني متأكد أنها
ستعجبك.

لكنه لم يجد ردًا من أركان، فأضاف:

سأعتبر صمتك هذا موافقة... لنبدأ اللعبة.

في تلك اللحظة، استعادت الجدران شفافيته، وكشف
الجدار على يسار أركان عن الشخص الثالث، وهو شاب
ذو شعر كستنائي وبنية قوية، وعينين نجلاء تنظران
بترقب إلى فوهة السلاح المشهر نحو رأسه. وعلى
اليمين، توجد ليلى مقيدة على الكرسي، وهي الأخرى

عَلِقْ فَوْقَهَا مَجْسَمَ كَبِيرٍ مَشْدُودٍ إِلَى حَبْلَيْنِ، تَحْتَ كُلِّ حَبْلٍ
شَمْعَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ لَا تَذُوبُ .

ثم أَرَدَفَ المَقْتَعُ:

_ هذه الحياة كثيرًا ما يجد الأشخاص أنفسهم مخيرين بين

الحب والصدقة، يعتبرونه خيارًا صعبًا، لكني لا أراه

كذلك. فالحب بالنسبة لي كذبة سخيّة، أما الصدقة فهي

عداوة مؤجلة.

ابتسم أركان وقال بسخرية:

_ أنت آخر شخص يمكنه الحديث عن الحب والصدقة،

فهي مشاعر إنسانية، وأنت حتى لا تملك ذرة من

الإنسانية.

ـ معك حق عزيزي أركان. لا حاجة لأمتلك الإنسانية في عالم قذر كهذا. يكفي حديثاً الآن. دعني أشرح لك قواعد اللعبة: ستظهر صورتان في الجدار خلفك، و عليك أن تحدد الفروق السبعة بينهما. وإن فزت، سيقع إنقاذ أحدهما، بينما تتولى إنقاذ الآخر. وإن خسرت، حينها ستختار من يعيش بين حب طفولتك دارين و صديق عمرك سليم.

لم يصدق أركان ما سمعته أذناه. كيف يمكن أن يحصل هذا؟ ربما لم يسعفه الوقت في التعرف على سليم. لكن لماذا لم يتعرف على دارين رغم أنها كانت قريبة منه كل هذه الفترة؟ ربما شعر أنها مألوفة في أول يوم رأى فيها. لكن اسمها وكنيتها ولامحها الشابة جعله يستبعد إمكانية أن تكون دارين. وماذا لو كانت هذه إحدى خدعه؟ حينها صرخ أركان قائلاً:

وما الذي يجعلني أصدقك؟

يمكنك التأكد من قلادة الفراشة التي تخفيها دارين تحت قميصها دائماً والحرق الذي في ظهر سليم. حينها، تذكر أركان القلادة الذي أهداها إلى دارين، وعندما أخبره سليم بأن منزلهم قد احترق من قبل أقاربه لقتل عائلته والاستحوان على الميراث، وكان الناجي الوحيد من الحادث الذي خلف جرحاً في ظهره، يذكره بما حصل في تلك الليلة

ثم أردف المقتنع بملل:

والآن إذا انتهت أسئلتك، لنبدأ اللعبة، لأن وقتهم بدأ ينفذ.

وعرضت الصورتان على الجدران وكانتا لمشهد طبيعي
فيه الكثير من التفاصيل المعقدة. أمعن أركان النظر
محاوياً تحديد الفروق، ثم ارتفعت أصوات عقارب الساعة
وكادت تصيبه بالجنون. لم تكن اللعبة مستحيلة، لكن كمية
الضغط جعلت أركان يفقد تركيزه في الدقائق الأولى.
فأغمض عينيه وسيطر على مشاعر الخوف التي تتعاضم
داخلة عن طريق العد التنازلي، وهي طريقة تعلمها من
أخصائي نفسي كان صديقاً له للحفاظ على هدوئه. صرف
عقله عن التفكير في أسوأ الاحتمالات بإلهائه في عملية
العد. ثم فتح عينيه وتطلع إلى الصورتين مرة ثانية وبدأ
بإحصاء الفوارق الواحدة تلو الأخرى، وكان الوقت يمر.
الحبل يحترق بلهب الشمعة يكاد ينقطع، وتلك اليد تهباً
قادح السلاح والعرق يتصبب من جبين أركان، وهو يمرر
عينيه بين الصورتين، إلى أن عثر على الاختلاف السابع

الذي كان في عدد ألوان قوس قزح. حينها أرخت اليد
المسدس وأبعدته عن وجه أمير، وبقيت على أركان مهمة
إنقاذ ليلى.

فُتح الباب وركض نحو الغرفة المجاورة ودفع بابها. ثم
حرق الشمتان الحبلين وسقط الجسم الضخم محدثاً
هزة قوية. استطاع أركان أن ينقذ ليلى في اللحظة
الأخيرة. لم يكن هنالك أحد داخل المبنى غير الثلاثة، وكان
الصوت صادراً من شاشة حاسوب تم تحطيمها مسبقاً من
قبل الرجل الذي كان يهدد سليم. ثم خرجوا من المبنى
المتداعي. بعد حرب الماضي التي خاضوها في الداخل
لوجدوا أنفسهم في فناء الميتم تمر ذكريات الطفولة من
أمامهم كالسراب كلما اقتربوا للمسها اختفت أدرج الرياح
طال الصمت بينهم ثم أردف سليم:

لقد مر وقت طويل منذ تلك الليلة.

ليرد أركان:

نعم وقت طويل لدرجة أننا لم نعرف بعضنا.

أليس لأننا كبرنا و تغيرت أسمائنا.أضافت ليلى

كل شيء قابل لتغير في هذه الحياة رغم كل ما مر

التقت طرقنا مجددا.

ألقي سليم نظرة على سطح الميتم وأردف

ماذا عن أحلامنا هل تحققت؟

ليجيبه أركان

نعم لكن ليس كما أردت، أصبحت من أغنياء اسطنبول

لكنني فقدت في الطريق سعادتي.

ثم أضافت ليلى بنبرة حزينة

_أنا لم أصبح محامية، لم أستكيع دفع تكاليف الدراسة
_أما أنا فقد أصبحت محقق فعلا حتى أنني تزوجت كنت
أظن أن الحياة ستبتسم لي أخيرا، لكن ماتت زوجتي بسبب
المرض، وبدأت أركض خلف تجار المخدرات إلى أن بدأت
تصلني ظروف سوداء بوشم عقرب وبدأ الكثير من
الأبرياء يفقدون حياتهم، فقدمت استقالتي من المركز الذي
سحب القضية مني، وقررت البحث عنه، لم أكن أظن
أنني سألتقي بكم لكن من الحسن الحظ أنه حدث.
عانق الثلاثة بعضهم ثم عاد أركان إلى الميتم، ألقى نظرة
أخيرة مليئة بالبرود على المكان، ثم رمى قداحته
المشتعلة في بساط مهترئ سرعان ما احترق وبدأت النار
تلتهم الميتم، وخرج الأصدقاء من البوابة الحديدية.

تتصاعد النيران من خلفهم، ثم نظروا إلى السطح لأخر
مرة، وكان الأطفال الثلاثة هناك يلوحون، ثم اختفوا

"ويحدث أن يتحول الكره إلى حب جميل"

أسدل الليل ستائره على المدينة، ولم يعانق النوم جفني
ليلي وهي تستعرض أمامها ذكريات الطفولة.

غادرت فراشها بكسل تجاه المطبخ لشرب كأس من الماء،

وعندما كانت تسير في الممر وشعرت بأن هناك شخصاً

خلفها يمشي، فقد سمعت دبيب أقدامه. شعرت بالخوف

وأخذت تتراجع إلى الخلف تنظر يميناً وشمالاً، إلى أن

اصطدمت بظهر أحدهم وانطلقت منها صرخة ذرع.

انضمت إليها صرخة أخرى. استيقظ أركان، أخذ مسدسه
وركض إلى مصدر الصوت، وعندما أشعل الأنوار، صدم
بما رأى. يجلسان على الأرض وتنظران إلى بعضهما
بدهشة. كانت ليلى وفتاة أخرى ذات شعر فاحم يصل إلى
كتفها وعينان عسليتين، ترتدي ثوبًا أزرق.

في غرفة الجلوس، قدمت ليلى كأسًا من الماء للفتاة، ثم
جلست على الأريكة تراقبها وهي تنحني على صدر أركان
وتقول: "أنا سعيدة لرؤيتك، لقد اشتقت إليك كثيرًا ليرد
بابتسامة:

أنا أيضًا، اشتقت إليك.

إيجا ابنة صديق العائلة هكذا، هكذا عرف أركان الفتاة

المتطفلة لليلى، التي كانت تشعر بالانزعاج من هذا

التقارب بينهما. ثم أردف أركان:

_ لماذا لم تخبريني أنك قادمة؟ _

لتجيب:

_ هل نسيت أنك من دعوتني؟ _

_ لم أنسى، لكن لم أتوقع قدومك بهذه السرعة _

_ تعلم أنني أفعل أي شيء من أجلك _

لم تستطع ليلى البقاء أكثر، فاستأذنت منهما وأسرعت إلى

غرفتها، أغلقت خلفها الباب وأسندت رأسها إليه. لم

تتحمل رؤية تلك الفتاة قريبة من أركان، إنها تشعر

بالغيرة. أيعقل أن حبها إليه قد عاد ليظهر مجددًا؟ هل

تحبه مجددًا بعد كل ما حصل؟ ظلت هذه الأفكار تشغل

عقلها لبقية الليل.

في صباح اليوم التالي، اجتمع سليم وليلى وسامر في

دكان العم سعيد في انتظار أركان، الذي أخبرهم أن لديه

خطة يريد مناقشتها معهم. رحب بهم العم سعيد وأحضر الكعك والشاي الساخن إلى حين دخل أركان ومعه إيجا. فهاجم شعور الغيرة ليلي مجددًا. قدم أركان الفتاة للبقية، ثم جلس على الأريكة وجلست إلى جانبه، ثم أخرجت من حقيبتها جهاز لابتوب وأردف أركان بجدية:

_ لدي خطة الإمساك بالمقنع.

تبادل الجميع نظرات حائرة، ثم واصل:

_ ليلية غد ستقام حفلة في عرض البحر الأسود للطبقة المخملية على متن باخرة سياحية كبيرة, وسيحظر المقنع أيضا.

سأل سليم:

_ كيف علمت أنه سيحظر؟.

أجاب أركان بثقة:

_في الهجمات التي قمت بها قبل أسبوع على مستودعات
المخدرات التابعة للعصابة, أمسكت بأحد كلابهم وهو من
أخبرني أن الممقنع سيحظر الحفل.

ثم أضاف سامر:

_وما هي هذه الخطة.

فأشار أركان إلى الفتاة بجانبه قائلاً:

_ستخبرنا إيجا بتفاصيلها.

تجنبت ليلى النظر إليها وهي تشرح الخطة ولاحظ أركان

ذلك لكنه لم يعلق على الأمر, انتهت إيجا من شرح الخطة

ثم ختمت كلامها وهي تشير إلى جهازها.

ثم عقب أركان على كلامها :

_إيجا درست هندسة الحاسوب في أمريكا وهي بارعة في
مجال القرصنة.

لتقول إيجا:

_أرجوك أركان كفى عن مدحي لم أفعل شيئاً.

فجأة نهضت ليلى من مكانها واتجهت كل الأنظار نحوها

بتساؤل

فاستدركت قائلة:

_لا أشعر أنني بخير, سأخرج قليلاً:

قالت إيجا:

_هل تريدن أن أتي معك.

_لا, شكراً.

أجابت الأخرى بحدة ثم خرجت وبدا القلق في عيني
أركان.

جلست ليلى تحت شجرة بجانب الدكان، تملأ رئتيتها
بالهواء النظيف، فقد أحست بالاختناق في الداخل.
أغمضت عينيها تمنع الدموع من النزول، لا ينبغي لها أن
تبكي، ستضع نفسها في موقف محرج. ثم لماذا تبكي؟
أساساً أركان لا يهتمها أبداً. ثم أردفت تخاطب نفسها
بصوت مسموع:

لماذا أغار عليه؟ أنا لا أحبه. من المستحيل أنني ما زلت
أحبه بعد كل ما فعله.

«كن الحب الحقيقي لا ينسى.»

جاءها صوت من خلفها، وكان العم سعيد. وقفت احتراماً
له، لكنه طلب منها الجلوس، وجلس إلى جانبها. مرت
دقائق صمت، ثم باشر الكهل الحديث:

_ عندما كنت شاباً في مثل سن أركان، أحببت فتاةً تعيش،
في حين كانت فتاة جميلة، كل شباب الحي يحلمون بنيل
ودها. أحببتها وأحببني. كنا سنتزوج، لكن عائلتها
رفضتني لأسباب مادية، وزوجتها من رجل غني. حينها
انكسر قلبي، وقررت ألا أتزوج وواصلت حياتي وحيداً.
أردفت ليلى بحزن:

_ أشعر بالأسف لأجلك.

واصل العم حديثه وهو يبتسم:

_ ثم التقيت بأركان ذات يوم، عندما كنت أقطع الشارع
وسقطت أمام سيارته. هب لمساعدتي وأخذني إلى

المشفى، ولم يفارقني أبداً. كان يهتم كما يهتم الابن
بوالده. أركان شاب طيب القلب وأحياناً قاسي. فالحياة فقط
من جعلته هكذا، لكن ليس مع من يحب. عليك أن
تصارحيه بمشاعرك.

'ماذا لو لم يكن يبادلني الشعور ذالداخل
_ أخبرتك أن من يحب بصدق لا ينسى. ثم إن نظرته إليك
مختلفة، مختلفة جداً.

اتسعت عينا ليلى لكلامه، لكنها لم تفهم ما يقصده
بالنظرات المختلفة. ثم نهض العم ولحقت به إلى الداخل.

"الحياة مجرد حفلة تذكيرية ضخمة على كل

شخص أن يؤدي دوره باحترافية"

تحت أشعة شمس الغروب، يتموج البحر الهادئ بلونه
الفيروزي في انعكاس ساحر. بدأت السيارات الفارهة
تتدفق إلى رصيف الميناء، يخرج منها أناس يرتدون
أزياء أنيقة. ثم يصعدون إلى باخرة ضخمة راسية، وهم
يحملون بطاقات يعرضونها على رجل الأمن في المدخل،
فيفحصها ثم يأذن لهم بالدخول. في الأثناء، وصلت سيارة
ليموزين سوداء تلمع كموكب الملوك. خرج منها شاب
ببدلة رسمية ونضارات سوداء، وهو يسارع إلى فتح
الباب الخلفي الذي نزل منه شاب آخر يفوقه طولاً، يرتدي

بدلة كحيلة اللون. تتفحص عيناه الزرقاوان المكان من حوله بنظرة سريعة، ثم مد يده لشريكته الفاتنة. أمسكت بيده ووطأ كعبها العالي أرضية الرصيف، ثم وقفت بثقة، ترتدي فستاناً نبيذياً طويلاً، تغطي شفثيها حمرة دموية، ومساكرا تحرس عينيها العسليتين. ترفع شعرها الأسود إلى الأعلى بأناقة مميزة. تأبظت ذراع وسيمها وتوجها نحو مدخل الباخرة، رحب بهما رجل الأمن بإيماءة من رأسه، ثم أخذ يتفحص بطاقات الدعوة بتأن فيما يراقبه أركان بحذر. نظر إليهما مجدداً وهو يرفع حاجبه في مقارنتهما بصور في البطاقتين وشعرت ليلي بأنه اكتشف أمرهما، إلى أن سمح لهما بالولوج أخيراً. وفي الداخل، استقبلهم خادم وقور المظهر، انحنى إليه أركان انحناءة خفيفة وهو يقول:

ـ أحسنت يا سليم، تبدو مقنعاً.

ربت على كتفه ثم قاد ليلى إلى ظهر الباخرة حيث
انتشرت طاولات دائرية الشكل، يقف حولها رجال أعمال
ومشاهير من الطبقة المخملية، يحتسون النبيذ
ويقهقهون. ثم وقف أركان وليلى حول الطاولات في
الزاوية، حيث يمكن مشاهدة كل ما يحدث. عدل أركان
السماعة العالقة في أذنه وأردف مخاطباً ليلى.
_هناك أحد قادم، احرصى على التصرف كسيدة مجتمع
راقية.

أجابت ليلى بانزعاج:

_مالذي ترمي إليه؟ هل أبدو لك بربرية؟

_أحياناً تكونين كذلك. أجاب ببرود

كتمت غيظها ودست الكلمات داخل حلقها عندما قدم أول

الفضوليين وكان رجلاً خمسينياً ذو نظرة لعوب لا تليق

بسنة يحمل سيجارة من نوع فاخر نفت دخانها في وجه

ليلي حتى سعلت ثم مد يده إلى أركان قائلاً:

_مساء الخير, أنا عثمان رجل أعمال لشركة عقارات.

صافحه أركان بقوة وأردف:

_سررت بمعرفتك عثمان بيك وأنا رسول نعمل في نفس

المجال وهذه زوجتي سناء..

وقبل أن ينهي كلامه إنحنى عثمان وقبل يد ليلي وفي تلك

اللحظة , شعر أركان بغضب يجتاحه وصبا عثمان الزيت

على النار عندما نظر إلى ليلي وهو يقول بخبث:

_أرى أن لديك حجر نادرا يا رسول بيك, أرجوا أن تحافظ

عليه.

أردف أركان بابتسامة صفراء:

_ أعدك بأن أحافظ عليه وخاصة من اللصوص.

ابتسم الرجل ثم استأذنها وغادر بعد أن فهم التهديد

المبطن أما أركان فلم تفارق علامات الانزعاج محياه وهو

يقول:

_ لماذا سمحت له بتقبيل يدك؟

استدركت ليلي:

_ لا لم أسمح لقد فعلها فجأة, ثم إن رجال الطبقة الثرية

يفعلون هذه الحركات دائما.

_ أفهم من كلامك أنها ليست مرتك الأولى.

_ كفى عن تأويل كلامي كما تريد، لقد كنت أشاهد هذا في

المسلسلات وما شأنك أنت ولماذا لا يقبلون يدي .. عفوا

نسيت أنني بربرية.

_نعم أنت كذلك لأن عقلك الصغير لا يستوعب شيئاً.

_والآن أصبح عقلي صغير.

**لم يعلق على كلامها وسحبها من يدها إلى وسط الباخرة
حيث يرقص الجميع في شكل ثنائيات على موسيقى تضيفي
على المكان سحرًا رومنتيًا. رفعت ليلى حاجبها وسألت:**

_ماذا تفعل؟.

أجاب أركان بابتسامة:

_سنرقص.

_لكنني لا أريد، لقد قطعت وعدًا على نفسي بأن لا أرقص

معك أبدًا بعد تلك الإهانة ليلتها.

_لماذا لا تضعين كل حساباتك معي جانبًا وتعلمني هدنة

لدقائق؟ إن لم يكن من أجلي، فمن أجلي طفولتنا.

لمس كلامه قلبها وهي تتطلع في عينيه الصادقتين، ربما
عليها أن تعلن هدنة معه وتلغي الحرب التي شنتها عليه
وتستحضر ذكريات طفولتهما سوياً. قد يكون شخصاً
قاسياً ولم يعد نفسه الولد الذي أحبته، لكن لا تستطيع أن
تنسى ما فعله لأجلها أبداً. ربما ستكون هدنة إلى الأبد.
انتشلها من عمق تفكيرها وهو يطوقها كالفراشة بين يديه
وبداً بالرقص في انسجام، وهي غارقة في رقاد عينيه ولم
تعد ترى سواه في هذا العالم. ثم أردف أركان بخبث:
لا تنظري إليا هكذا، أعلم أنني وسيم.
شعرت ليلي بالخجل وحاولت التملص منه، لكنه قربها
إليه أكثر وأضاف:
_ أنت كذلك تبدين جميلة الليلة وخاصة عندما تخجلين.

احمرت وجناتها أكثر وتسارعت خفقات قلبها، ثم ابتعدت عنه وهرولت إلى الطاولة تحاول تنظيم دقات قلبها. أما أركان فقد ضل يتتبعها بنظراته وهو يبتسم لارتباكها. وفجأة جاءه صوت إيجا من سماعة الأذن وهي تقول: أركان هل تسمعني؟.

أجاب بجدية:

نعم، أسمعك.

لقد تثبتت في قائمة المدعوين، جميعهم رجال أعمال ومشاهير لا يوجد بينهم من يدعو للريبة.

ربما انتحل شخصية أحدهم بل سأستغرب لو لم يفعل ذلك، على كل حال تأكد من معلوماتهم في قاعدة البيانات ربما يوجد بينهم ميت.

حسنا سأثبت الآن.

تجول أركان في الباخرة يراقب الحضور وعينيه تتبعان
حركاتهم. على اليمين يقف بدين قصير القامة يلتصق
النبذ بشاربيه وهو يضحك بركاكة. تقف تقف إلى جانبه
سيدة طويلة بقوام عارضات الأزياء. وفي طاولة أخرى
يحاول شاب لفت انتباه فتاة كانت تختلس النظر إليه، ثم
تشجع ومر بجانبها قاصداً الخبط في كتفها فقط ليفتح
حديثاً معها. وفي الجانب الآخر، زوجة ترمق زوجها
بنظارات غاضبة وهو يتفحص جسد شابة مرت من
أمامها. شعر أركان بالاشمئزاز، فحياة الأثرياء متكلفة
ويغلفها النفاق. فلا أحد حظر الحفل بوجهه الحقيقي، الكل
يضع قناعاً. هنالك من يختار قناع البراعة ومن يختار
قناع الود، وهنالك حتى من يختار قناع الحب والإعجاب.
لقد كان يبحث عن المقنع وسط عدد كبير من المقنعين،
تماماً كمن يبحث عن إبرة في كومة قش. فجأة، انطفأت

الأنوار واستعد أركان لأي هجوم مباغت، إلى أن اشتعلت
مجددًا وظهر رجل أربعيني احترق رأسه شيبًا. يرتدي
بدلة حمراء وربطة عنق خضراء وأضاف إلى ثيابه
الغريبة نظارات شمسية، رغم أن الوقت كان ليلاً. رفع
أركان حاجبيه بحيرة وانضمت إليه ليلى وبقيًا ينظران إلى
الضيف الغريب، وقد تعالت أصوات الحضور وهم
يرددون: "الباشا، الباشا!" فسألت ليلى إحدى السيدات عن
هويته، فأخبرتها أنه مغني مشهور، وسخرت منها لأنها لا
تعرفه. ثم بدأ الرجل بالغناء فوق منصة صغيرة متحركة
جاء بها عند انطفاء الأنوار. ثم بدأ الجميع يتجاوبون مع
أغنيته ويرقصون عليها. لكن أركان شعر بأن هنالك أمرًا
مريبًا في هذا الرجل، حتى سمع صوت إيجا تقول:
_أركان، لقد بحثت في قاعدة البيانات. هنالك شخص
مشهور قد زورت معلوماته.

ليسأل:

ومن يكون؟.

أجابت إيجا:

_فنان يدعى الباشا. مشهور في وسطه عرف بنمطه
الغريب في ثيابه وتصرفاته. لا أحد يعرف ملامحه، فهو
يختفي دائماً خلف أقنعة غريبة. وقد سافر منذ أسبوع إلى
المالديف لقضاء عطلة الصيفية مع عائلته، ولا أحد يعلم
بسفره كي لا تلاحقه كاميرات البرازيل. حتى إنه لم يسجل
دخوله لأي حساب من حساباته في مواقع التواصل منذ
سفره.

_لا ألومه ربما يريد أن يحظى بوقت طيب مع عائلته بعيداً
عن المتطفلين وفلاشات الكاميرات ويبدو أن أحدهم يجب
فلاشات هذه الكاميرات.

نظرت ليلي إلى أركان وسألته:

_هل عرفت من يكون؟

ليجيبها بثقة:

_إنه فنانا ذو صوت الغراب.

صدمت ليلي وأردفت:

_ماذا؟ كيف يمكن أن يكون نفسه؟

_أحترم ذكائه, لقد إختار أن يكون أكثر شخص تتجه نحوه

الأنظار لا أعلم إن كانت هذه صدفة أم أنه يعلم بخططنا

مسبقا.

_لا أظن هذا ربما هو من الأشخاص الذين يحبون لفت

الانتباه ويريد أن يكون مشهورا.

**سنحقق أمنيته. أتعلمين سأفتقد صوته الجميل والآن ليياً
عرضنا.**

**انتهى عرض المقنع ودخل المقصورة محمياً بحراسه
وفجأة زعق صوت باخرة وسط هتافات وتصفيق الحضور.
أخرى كانت قادمة نحوهم. يقف سامر في مقدمتها يلوح
لأركان. تبادل الجميع نظارات حائرة ثم اعتلى أركان
المنصة وأخذ الميكرفون. ثم أخرج من جيب بنطاله بطاقة
مزيفة أشهرها أمام الجميع ثم قال بصرامة:**

**أنا رسول يلماز شرطي متخفي. لقد بلغنا منذ قليل عن
وجود قنبلة في الباخرة وعلينا إخلاؤها حالاً. الرجاء
الحفاظ على هدوئكم والإسراع للباخرة الأخرى.**

**انطلقت الصرخات وعمت الفوضى وهرب الجميع وهم
يتزاحمون في هلع. نظر إليهم أركان وقال بسخرية:**

_مجموعة حمقى.

ثم تحدث مع سليم عبر السماعة وهو يتجه نحو

المقصورة:

_هل يزال في الداخل؟.

_نعم، لم يغادر المقصورة منذ دخلها وأنا أحرس الباب.

_حسنًا، أنا قادم.

تولت ليلى مهمة قيادة الناس وإخلاء الباخرة بمساعدة

سامر. أما أركان فقد وصل إلى المقصورة والتقى بسليم.

أخذ منه المسدس ثم هياً قاده واقترب ببطء إلى الباب

ودفعه برجله لكنه تفاجأ بأن المقصورة فارغة. لعن حظه

العائر واقتربا للبحث عنه، وانضم إليهما سامر. بينما

ظلت ليلى تجلي آخر الركاب، بحث الثلاثة في كل مكان

لكن بلا جدوى. حينها صرخ أركان:

أنا متأكد أنه لا يزال هنا، فهو ليس طائرًا ليطير أو سمكة ليسبح.

ثم توقف عن كلامه فجأة بعد أن خطر بباله شيء.

وفي الأثناء أجلت ليلي آخر راكبًا وغادرت الباخرة

الثانية. وعندما همت بالانضمام إلى البقية، شعرت بيد

تقبض بإحكام على قدمها، فالتفتت بسرعة. لقد كان هو،

خرج من البحر مبتلًا بالكامل، التصق قميصه بجسده،

ونزلت قطرات الماء من شعره الأشقر. وحدقت عينيه

الخضراوان تلمعان شرًا تحت أنوار الباخرة. لم يكن يشبه

المغني، لكن شيئًا ما يخبرها أنه هو المقنع.

كان أركان والبقية يبحثون، عندما سمعوا صوت صراخ

ليلي، فركضوا بسرعة إلى مصدر الصوت وتفاجئوا بذلك

المشهد. لقد كان المقنع يطوق ليلي بذراعه ويمسك بيده

الأخرى مسدسًا ألقه في رأسها وهو يبتسم قائلاً:

_مرحبًا أركان بيك أخيرًا. إلتقينا وتحققت أمنيتك في

معرفة هوية المقتنع. ما رأيك؟ هل فاجأتك؟.

تدفق الدم في عيني أركان وتصلبت عروقه، وأشهر

السلاح نحوه. ثم أرفف:

_ هذا أنت إذا؟.

_ نعم، إنه أنا، ألفريد، الذي حاولت قتله.

_ كان علي أن أتحقق من موتك. لا تقلق، هذه المرة لن

أعيد خطئي.

_ لن تكون هناك مرة أخرى، لأنه أنا من سيقنتك.

_ أعجبتني المزحة، لكن كيف عرفت تلك المعلومات عنا؟

**_لا شيء صعب, فقط قرصان وتخرق كل السجلات
الأيتام حتى الغير قانونية , والأن لتنتهي هذه المهزلة هنا
يا أركان بيك.**

بالطبع، إليك النص مع العلامات التنقيط:

**هياً المقنع قاذح سلاحه ووضع إصبعه على الزناد
وارتعش مسدس أركان. أما ليلى، فقد شعرت بقرب
نهايتها للحظة. كانت ستستسلم، لكن عيون أركان الخائفة
منحتها القوة. إنها العيون ذاتها التي نظرت إليها في تلك
الليلة عندما هب لإنقاذها من براثن جنكيز. لقد انتظرت
هذه الإشارة، إشارة أنه لا يزال يهتم لأمرها، لا يزال هو
نفسه أصلاً. إنها تراه بكل وضوح، يدعوها ألا تستسلم.
فجأة، استجمعت شجاعتها وعضت ذراع ألفريد التي**

تطوقها، فأطلقت صرخة مكتومة، وأبعد السلاح عن رأسها. استغل أركان الفرصة وضغط على الزناد، فأطلقت رصاصة استقرت في منتصف جبهته. ليتهاوى ويسقط في البحر جثة لوثت دمائها صفاء مائه، وانتهى الكابوس. ثم تتطلع الأربعة إلى البحر، وهم يستحضرون أحبّتهم الذين قتلوا على يد هذا الروسي المعتوه: براءة جان ونقاء سارة، ضحكة أمير وابتسامة لميس. كلها مرت من أمامهم في تلك اللحظة على صفحة الماء. ثم انتهى كل شيء.

لكن هناك أمراً ما علق في رأس أركان، وهو كيف عرف ألفريد قصة الميتم؟ ولماذا بحث في سجلاته؟ كيف عرف أنه قضى طفولته هناك، بينما لا أحد يعرف اسمه الحقيقي وطفولته غير سليم؟ وليلى، حتى شاهين بيك وزوجته، لا يعرفان شيئاً.

مر أسبوع منذ تلك الليلة، وعادت حياة الجميع إلى
وتيرتها الطبيعية، وغادرت ليلى القصر وعادت إلى الحي
وإلى صديقتها مايا. فقد أوفى أركان بوعده الذي قطعه لها
بأنه سيحررها ما أن يتخلص من المقتنع. لكن شيئاً ما
تحرك داخل ليلى، عندما غادرت القصر، لم تكن تريد أن
ترحل وتترك سجنها. ليس لأنها تريد أن تسجن، بل لأنها
وقعت في حب السجنان. لكنها ستعود للعمل قريباً وستراه
مجدداً. واستنفسها بهذه الكلمات وهي تسير إلى جانب
اليسفور، تتأمل الأزرقان يتحدان والنوارس تحلق بشكل
متناغم ساحر.

فجأة، توقفت خلفها سيارة سوداء، وامتدت من داخلها يد
أحكمت غلق فمها وسحبته اليد الأخرى إلى داخل
السيارة. بقيت تتخبط وتصرخ إلى أن حررها. وعندما
التفتت، تفاجأت بأنه أركان. فصرخت في وجهه:

_ ماذا تفعل، هل جنت؟ _

أجاب بنبرة جادة:

_ أحتاجك في أمر مهم. عندما نصل، ستعرفين لذلك وفر

أسئلتك.

" الحب ملح الحياة ورونقها "

وصلت السيارة إلى المطار، ونزل أركان وخلفه ليلى،

التي سألت عن سبب وجودهما هنا. لكن أركان لم يجيبها

واكتفى بسحبها نحو موقف طائرته الخاصة. فجأة، توقفت

ليلى وأفلتت يدها من يد أركان ورفضت التقدم خطوة

أخرى، قبل أن تعرف ماذا يحدث. لكن أركان حملها على

كتفه وأدخلها قصرًا إلى طائرتة. ثم وضعها على المقعد وأخرج من جيبه مخدرًا، صبَّ محتواه في المنديل ووضعها على أنفها، تخبّطت بين يديه قليلاً ثم أغمى عليها. وعندما أصبحت الطائرة في الجو، استيقظت ليلى وأطلقت صرخةً مدويةً، ما جعل أركان ينتفض من مكانه، إذ كان يجلس على المقعد قبالتها. ثم قال بانزعاج وهو يفرك عينيه:

لماذا الصراخ؟ هل رأيت عزرائيل؟ لتجيب ليلى.

نعم هو أمامي مباشرة، أعدني إلى المطار حالا.

سأعيدك لكن ليس الآن.

قلت الآن ستعدني لن أظل هنا.

حسنًا سأفتح لك الباب وعودي بنفسك.

هل تسخر مني؟

**إنتظري إذا عقدت ليلى ذراعيها أمام صدرها بانزعاج،
ثم أقلت نظرة على المكان من حولها. كانت الطائرة
مجهزة بكل وسائل الترفيه، حيث تميزت بتصميم
داخلي رفيع المستوى وفخامة لا مثيل لها. تتضمن
مساحات واسعة ومريحة للجلوس، مع مقاعد مبطنه
بأفضل أنواع الجلود. كما تحتوي على سرير للنوم
وتجهيزات مشابهة للفنادق الفاخرة، بالإضافة إلى
حمام ومطبخ.**

**شعرت ليلى أنها في بيت طائر، لا يزال هذا الجالس
أمامها يفاجئها بإمكانيته، وفي الوقت نفسه تصغر هي
أمامه. إنه يسبقها بمئة سنة ضوئية من حيث الثروة**

والشهرة. أما هي، فتعيش في شقة يعادل حجمها حجم
مطبخ في طائرتة. لا مجال حتى للمقارنة، ولا توجد
مساحة أمل صغيرة في علاقتهما.

كيف سينظر لفتاةٍ عاديةٍ مثلها، بينما يمكن لتأشيرةٍ من
يده أن تحظر أغنى النساء وأكثرهن جمالاً ونجاحاً؟
شابٌ غني ووسيم، يصعب أن تقاوم إحداهن وسامته
ورجولته الطاغية.

و لا تستطيع أن تعول على طفولتها، فتلك أيام مضت،
كما أنها كانت السبب في معانته وارتكابه تلك الجريمة،
من المستحيل أن يحبها بعد كل ما حصل.

إنتشلها من دوامة أفكارها وهو يلوح بيده أمام عينيها

وهو يقول:

أين ذهبت، هل تسمعتني؟.

أبعدت يده عن ناظرها وقالت بلهجة جادة:

أركان إلى أين نحن ذاهبان ما الذي تخطط له؟.

ليقول متحاشيا الجواب عن سؤاله:

لا بد أنك جائعة سأحضر لك الطعام.

غاب للحظات ثم عاد بصينية الأكل، جذب طاولة كانت

ملتصقة بالجدار ولم تكن ليلى تعلم بوجوده، لكنها تعلم

جيذا أنها ليس فتاة هذه الأماكن ثم وضع أركان الطعام

على الطاولة الخشبية وجلس في المقعد أمامها، بدأ

يأكلان في صمت وفور انتهائهم، بدأت الأطباق تتحرك

بصورة غير طبيعية ثم صدح صوت الطيار وهو يقول
الطائرة تسقط هناك عطل في الطائرة اربطاً أحزمتكما
ذعرت ليلى أم أركان فقد حافظ على هدوئه وجلس إلى
جانبها وقد عقد حزاميهما بدأت ليلى بالبكاء والتفت إليها
أركان وقال مهدئاً:

_ لا تخافي أنا هنا نظرت إليه ليلى والدموع تلمع في
عينها

_ سنموت يا أركان

_ ليكن أليس رائعاً أن نموت معا

_ هل هذا وقت المزاح

_ لكنني لا أمزح لو خسرت الشخص الذي سأموت معه

سأختارك أنت

_ لماذا

_لأنني أريد أن تكون ملامحك آخر ما أرى في حياتي

انهارت ليلى بالبكاء وهي تقول بصوت متقطع

_أنا آسفة لما حصل في الميتم لقد جعلتك تعاني بسببي

أرجوك سامحني. أمسك أركان بيدها وأردف بنبرة حنونة

_من جعلني أعاني ليس أنت، بل أشخاص آخرون، أنت

منحتني سببا لأعيش.. أنا أحبك.

لم تستوعب ليلى ما سمعته توا هل يعقل أنها تحلم لقد

قال أحبك هل هذا حقيقي.

وأردفت هي الأخرى:

_لم أحب سواك.

ابتسمت وعانقا بعضهما ثم عادت الطائرة لوضعها الطبيعي وابتعدت ليلى عن أركان وهي تمسح دموعها بكم قميصها وتقول:

_ لماذا لم تسقط الطائرة؟ أئن نموت؟ _

أردف أركان ضاحك:

_ ولماذا ركزتي مع فكرة الموت؟ لن نموت لأن هذا ليس في خطتي إلا إذا تدخل القدر حينها لا يمكنني منعه.
تفاجأت ليلى وصرخت:

_ هل تقصد أنك خدعتني! وجعلتني أشعر بكل هذا

الرعب.

_ لم أخدعك عزيزتي، لكن قرأت دراسة بأن الأشخاص يميلون إلى الصدق في أحاسيسهم عندما يشعرون

بنهايتهم، أردت معرفة مشاعرك الحقيقة اتجاهي ونجحت

الخطة

_سحقاك و لهذا الدراسة الغبية،كدت أموت خوفا،يا من

مجنون.

_نعم لقد جننت بك يا ذات الشعر الأحمر.إحمرت

وجناتها مجددا وأشاحت بنظرها إلى النافذة وابتسمت، بعد

دقائق صدح صوت الطيار مرة ثانية معلنا أن هنالك خللاً

أصاب الطائرة، ويجب أن يهبط هبوط اضطرارياً والتفتت

ليلى إلى أركان وعلامات الغضب على محياها ليسأل

قائلا:

_ماذا تنظرين إلي هكذا؟ لاعلاقة لي بالأمر، في النهاية

أخذت الاعتراف الذي أريد.

شعرت ليلى بأنه صادق خاصة وأن التوتر كان بادياً عليه
ثم استقرت عجلات الطائرة على جزيرة نائية محاطة
بالبحر من كل جهة، تضم غابة كثيفة وشاطئ برمال
بيضاء نزل أركان وليلى من الطائرة وظل الطيار في
مقصورة القيادة يحاول الاتصال بفريق الصيانة.
و توجه إلى الغابة لكن ليلى أوقفته سائلة:

_ أين أنت ذاهب؟

ليجيب:

_ إلى الغابة.

_ ماذا لو كان هنالك وحوش وسباع داخلها.

_ إذا ا بقي أنت هنا وسأكتشف الجزيرة وحدي.

_ مستحيل لن أتركك وحدك، أنا قادمة معك.

توغلا سويا في الغابة التي تتسلل أشعة الشمس من بين
أشجارها الكثيفة، ظلت ليلى تنظر إلى المكان حولها
وعندما التفت لم تجد أركان؛ لقد اختفى. بدأ الخوف يتسلل
إلى قلبها وهي وحيدة في الغابة المظلمة. بدأت تصرخ
وتنادي باسمها، لكنه لم يظهر تشجعت وتقدمت إلى الإمام،
ثم تحولت خطواتها إلى ركض. ركضت كما لم تفعل من قبل
نحو المجهول، وهي تزيل الأوراق والنباتات من طريقها،
حتى وصلت إلى مكان خال من الأشجار كان الجزء الآخر
من الشاطئ؛ لقد انتهت الغابة رأت أضواء تتلألأ، ثم ظهر
أشخاص أمامها. لم تصدق ما يحدث، إنهم سامر وسليم
وإيجا ومايا، حتى العم سعيد هنا. جميعهم يرتدون ثيابًا
أنيقة كأنهم في حفل ثم ظهر من خلفهم أركان ببدلة
سوداء، يضع وردة حمراء على ياقته اقترب منها ثم
انحنى على ركبته وقدم لها محارة لم تتردد ليلى، أخذتها

وعندما فتحتها، لمع خاتم من الألماس في جوفها، ثم قال

أركان: "هل تقبلين الزواج بي يا ذات الشعر الأحمر؟"

ضربت على كتفه بخفة وقالت:

_خدعتني مجددًا، لكنها أجمل خدعة.

ثم أضاف سليم:

_هيا يا ليلى، أجيبني الرجل لقد ألمه ظهره.

ضحك الجميع ثم ابتسمت ونظرت إليه وصرخت بأعلى

صوتها:

_نعم.

وعانقها وسط تصفيق الحضور ثم أخذت إيجا ومايا ليلى

إلى مكان بعيد خلف الأشجار.

ثم عادوا بعد ساعة ومعهم العروس المنتظرة، ترتدي ثوب زفاف أنيق بتصميم حورية البحر، مصنوع من قماش الدانتيل المطرز بالخرز الأبيض، وذيل طويل منسدل يمنحها إطلالة ملكية. وكان شعرها الأحمر متوجًا بإكليل من الورد الأبيض، تتدلى منه طرحة دانتيل تغطي وجهها. تسمر أركان في مكانه عند رؤية عروسته تتقدم إليه، النسيم يعبث بطرحتها فتطير جزءًا منها ليكشف عن عينها التي تزينها مسكارا. وقفت أمامه وظل ينظر إليها بحب، ووجد تلك القلادة التي أهداها لها منذ كانوا أطفالًا تزين رقبتها. إذ ام ترض ارتداء طاقم الألماس بدلًا عنها، فتلك القلادة كانت أعلى شيء تملكه. ابتسم وأمسك بيديها وقبل راحتيهما، ثم قادها إلى طاولة عقد القران المزينة بالورود البيضاء. سحب لها الكرسي لتجلس وجلس بجانبها، ثم قدم الشيخ لعقد القران بصحبة الطيار. فقد كان

الشيخ يجلس إلى جانبه طوال الرحلة، لكن ليلي لم تعرف بوجوده. وجلس سليم ومايا كشاهدين. وعقد القران، رفع أركان الطرحة عن وجه زوجته، تأملها للحظات، ثم طبع قبلة على جبينها وسط تصفيق. ودعس هي بحذاءه على قدمه كما جرت العادة، وسط هتافات التهئة. ثم وضع العريس يده فوق يد العروس، وبدأت اليدان تقطعان كعكة الزفاف مرتفعة، تنتهي بمجسم عروسين من الشكولاتة. ثم رقص العروسان. أبدا لكنه لم يعرف ما كان يخبأه له القدر.

"يتحول الانسان لكتلة جليد عندما يفقد من

يحب"

تسللت أشعة الشمس عبر النافذة لتعبت بأجفان أركان
النائمة وتوقظه بلطف. مد يده إلى جانبه وتحسس
الفراش، ولكن لم تكن ليلى موجودة. فنهض من السرير
وفتح النافذة الزجاجية المظلة على الغابة، وقف يتأمل
الطبيعة وهي تستقبل بداية يوم صيفي جديد.
وبعد أن غير ثيابه، غادر الغرفة وهو يندن ألحان أغنية
نسي كلماتها، ثم أردف وهو يدخل المطبخ:
_ صباح الخير عزيزتي.

لكنه تفاجأ بأن المطبخ فارغ، وقد فاضت القهوة على
الموقد. أسرع لإطفائها، ثم اتجه إلى غرفة المعيشة،
ولكنها لم تكن هناك أيضاً. بدأ الخوف يساوره عندما لم
يجدها في الحديقة أيضاً.

إلى أن لمحّه مثبتًا تحت مساحات سيارته، لم يكن يتوقع
رؤيته مجددًا، إنه بداية كابوسه، الظرف الأسود الملعون.
اقترب منه بحذر، وأخذه بيد مرتعشة. تنفس بعمق، ثم
فتحته ومرر عينيه على تلك الأحرف التي كانت عنوانًا
لمكان قريب من هنا. فتح باب سيارته وشغلها، ثم انطلق
بسرعة.

بين أنقاض الشاحنات المحطمة خرج أركان من سيارته
مشددًا قبضته على سلاحه يتقدم بخطى حذرة وهو يستطلع
المكان المهجور من حوله وعندما وصل إلى مفترق طرق،
سمع صراخ ليلي ينبعث من الطريق أمامه فاندفع إلى
مصدر الصوت، لكنه توقف فجأة لما سمع صوتها مجددًا
من اتجاه آخر ليجد نفسه محاصرًا بصراخ زوجته من
الجهات الأربع فأمسك برأسه يحاول التركيز وهو يتنفس
بصعوبة.

إلى أن التقط نظره مكبر صوت معلقاً في شجرة. فصوب
نحوه، تردد وفجره، وكذلك فعل لمكبرات الصوت التي
انتشرت في كل اتجاه ثم سمع الصوت الحقيقي صادراً من
الطريق خلفه فهياً قاده سلاحه وركض نحوه وعندما
وصل، وجدها تقف وحيدة على بعد أمتار منه، مقيدة
اليدين ومكمومة الفم تلمع دموعها تحت أشعة الشمس،
ترتدي فستاناً أبيضاً يعبث النسيم بأطرافه بجانبها مكبراً
صوتاً يصدر منه صراخها.

ما إن رآته حتى بدأت ترسل إليه إشارات برأسها، كأنها
تريد تحذيره لكن أركان لم يكن في حالة تسمح له بفك
شفرات إشاراتها. هو فقط يريد إنقاذها وأخذها من هنا
بسرعة. ثم اقترب نحوها ببطء، وهي تتابع خطواته
فجأة شعر أركان بأنه دعس على حبل على بخوف.
الأرض، وقبل أن يستوعب ما يحصل، ارتفعت ليلى إلى

الأعلى والحبلى يعصر رقبتها أسرع نحوها وأمسك بقدميها

وهو يرفعها لإرخاء ضغط الحبل على رقبتها. لكنها كانت

ترتفع أكثر وأكثر. حينها أردفت ليلي بصعوبة:

أنا أحبك.

يتلوها أركان وهو يقول بصوت متحشرج:

وأنا أحبك أيضاً تحملي، سأنقذك.

وبسرعة خاطفة إرتفعت لأعلى ولفضت أنفاسها الأخيرة.

ثم ارتخى الحبل وسقطت أرضاً بين يدي أركان، الذي كان

ينظر إليها والصدمة تحتل أدق تفاصيل وجهه ثم أطلق

صرخة جمعت حزن العالم كله واحتضن زوجته وهو

يجهش ببكاء مرير، لقد ذهب من كان يختزل الحياة كلها

في عينيها تركته وحيداً خلفها يمزقه الألم وتنهش روحه

الوحدة فجأة، سمع صوت قهقهات من خلفه حينها تغيرت

نظراته لم تكن تحتوي الغضب ولا حتى الحزن بل كانت
نظارات جوفاء خالية من كل شعور وضع زوجته برفق
على الأرض، ثم وقف وجهًا لوجه مع غريمه.

الذي يختفي خلف قناع أبيض، لكن أركان كان يراه ملطخًا
بدماء أحبته فرفع أركان سلاحه نحوه وكاد يطلق عليه
دون مقدمات ولا اعتبار لما سيحصل بعدها كان همه
الوحيد قتله، لكن اصلعه ارتعش ولم يستطع الضغط على
الزناد عندما كشف المقنع عن وجهه الحقيقي في اللحظة
الأخيرة.

اتسعت عيناه وفغر فاه صدمة ثم أردف بلهجة مضطربة:

__ هذا أنت؟ لكن لماذا؟.

ابتسم سامر بخبث كان مقنعًا طوال الوقت يخدع أركان
الذي وثق به أكثر من نفسه لكن أسوأ ما في الخيانة أنها
لا تأتي من عدو. ثم أردف بسخرية:

بالمناسبة، أنصحك بإنزال سلاحك عن وجهي، لأنني أكره
فوهات الأسلحة، منظرها قبيح لكنني أحب تلك النقطة
الحمراء التي تزين قميصك.

نظر أركان إلى قميصه لقد وقع في الفخ فهناك قناص
يتربص به من مكان ما ثم أردف مخاطبًا سامر:
من أنت؟ وكيف أقنعت الروسي بانتحال شخصية المقنع؟
تجول سامر في المكان وهو يبتسم ويقول:

لقد أنقذته من حادث الانفجار، وكان عليه رد الدين.

المسكين لم يعرف أنه سيدفع حياته ثمناً لذلك أما بالنسبة لمن أكون، فذلك هو بيت القصيد أنا ابن جنكيز الذي قتلته.

تسمر أركان في مكانه وهو يحاول هضم كل هذه الصدمات المتتالية ثم واصل سامر كلامه قائلاً:

أنا ابنه الوحيد مارت ذلك الطفل المنبوذ الذي كان يسكن معكم في الميتم الطفل الذي شوه نصف وجهه فنبذه الجميع حتى والده لم يعترف به.

هذا أنت إذا لكنني حاولت التقرب منك أكثر من مرة. ط لكك كنت تصدني.

نعم، كنا سنصبح أصدقاء، لكنك قتلت أبي.

كان وحشاً وليس أباً لم يعترف بك حتى.

_نعم، كان كذلك لكن كانت لدي عائلة كنت أعود مع أبي
في كل أسبوع لمنزلنا في المدينة الشخص الوحيد الذي
أحبني هو أمي أما أبي، كان يتقزز مني ولا ينظر في
وجهي. أعمل عنده كالعبد عندما مات، ظننت أنني سأرتاح.
لكن أمي انتحرت بعد يومين بعد أن فضحت أعماله غير
القانونية كنت السبب في موت أمي."

_والدك تحرش بفتاة صغيرة، لقد أنقذتها وكان يستحق
الموت ولم أندم للحظة على قتله, لكن أتعلم أنت تشبه
والدك كثيرا وحش مثله ما الذي فعله لك جان وأمير
وسارة لقت قتلت أرواحا بريئة يا هذا!!.

_نعم أصبحت وحشا، أجريت عملية تجميل وكسبت ثقتك
عانيت الكثير وقتلت الكثير، تلك هي ضريبة الانتقام لكنني

أحببت سارة من كل قلبي, برائتها كانت ستثني علي
الانتقام لذلك جعلتها تنهي حياتها و حزنت كثيرا لأجلها.

ثم ابتسم سامر وتغيرت نظراته وأردف بهستيرية

وهو يسحب سلاحه من خلفه ويوجه إلى أركان:

_ حرق قلب سليم علي زوجته وقتلت ليلى بنفس

الطريقة التي ماتت بها أمي والآن حان دورك، ودعا يا

أصلان.

ولم يكذب ينهي كلامه حتى خرقت رصاصة القناص جسده

دون سابق انذار وسقط أرضا, جال أركان بنظرة في

المكان من حوله، ثم تقدم إلى سامر الذي كان لا يزال

علي قيد الحياة نظر إليه ببرود وأردف:

_ الوداع يا سامر.

وأطلق رصاصة استقرت في جبينه، أنهت حياته ومات
مفتوح العينين في نظرتة الأخيرة مزيج غريب من
الصدمة والحزن، وتلى ذلك صمت ثقيل ثم نزع أركان
سترتة وغطى بها وجه سامر ثم عاد إلى ليلى التي أصبح
وجهها شديد البياض كالورق المقوى وتحول لون شفثيه
إلى الأزرق كانت باردة جدا فحملها أركان وضمها إلى
صدره ثم اتجه بها نحو سيارته.

"لا نستطيع أن نحترق لوحدنا، هل هناك من

يضم حريقنا؟"

أمام بيت الغابة توقفت سيارة سليم محدثتا صريرا مخيفة

طرق الباب بقوة لكن لا أحد يجيب ثم أردف:

_أركان افتح الباب أعلم أنك هنا افتح هيا

أجال ناظراه يبحث عن نافذة مفتوحة لكن جميعها مغلقة

ليعود إلى طرق الباب وهو يصرخ:

أركان ساكسر الباب.

دفع سليم الباب بقوة مرتين متتاليتين ثم انفتح
ومشى بحذر إلى الداخل وقد كان المنزل مقلوباً رأس
على عقب وكأنه تعرض للسطو، الصالون مخرب
والملابس مطروحة على الأرضية والصحون مهشمة
متراكمة في المطبخ. صعدا عتبات الدرج إلى الطابق
العلوي حيث غرفة أركان دفع دفة الباب بحذر فترأى له
صديقه منكمشاً على نفسه فوق السرير بجانبه طاولة
تكدست فوقها أدوية ومسكنات وحبوب نوم وانتشرت
صور لارين في كل مكان من السرير وذعر من الحالة
التي وصل إليها صديقه كان ذا شعر منفوش ووجه
شاحب هالات سوداء وقد تمردت لحيته اتجاهه إلى النافذة
وفتحها ليهوي الغرفة ثم دنا من السرير وصرخ:

_ أركان انهض.

أمسك من كتفيه وأخذ يخضه بعنف ليفتح عينيه

المحمرتين ببطئ ويقول مغمما:

_ لماذا أتيت؟.

_ لقد مرت شهور وأنت محبوس هنا

_ إنها مشكلتي

_ لست مشكلتك وحدك نحنا معا يا أخي

_ إنني متعب جدا أرجوك دعني أنام

ثم ابتسم وتابع قوله:

_ لقد كان حلما جميلا التقيت فيها ليلى مجددا دعني أعود

إليها إنها تنتظرني.

صنع سليم صديقه صفة قوية ليستفيق من هذه الأوهام
المحيطة به فتقبل الصفة دون مقاومة

ثم جلس سامر بجانبه ظل صامتين لعدة دقائق وعم
الصمت المكان ليكسره أركان بقوله وهو يبتسم بعيون
دامعة:-

لقد أحببتها كثيرا، أحببت كل شيء فيها، عفويتها
طيبة، قلبها احمرار وجهها عندما تخجل، غضبها لكنها
رحلت يا سليم ذهبت هي الأخرى، كم مرة سأعيش هذا
العذاب.

هربت دمة من عيني سليم وهو ينظر إلى وجهه
الشاحب وقال في حزم:

يجب أن تجمع شتات نفسك و..

قطع كلامه ضحكة ساخرة انطلقت من أركان قبل أن

ينهض من مكانه ويصرخ في غضب:

لقد قمت بقتلها هل تعلم معنى أن تقتل الفتاة التي تحبها

بنفسك يكفي أنت لا تفهم شيئاً لا تفهم النار التي تتأجج

داخلي لا تفهم:

لكن لم تفعل ذلك عن قصد لقد كانت مؤامرة.

وما الفرق أخبرني، أنا.. أنا من دعست على ذلك الحبل

أنا من فعلتها.

ثم تهاوى أرضاً وهو يبكي واقترب منه سليم الذي

سالت دموعه مواسية للدموع صديقه:

سيتعفى جرحك يا صديقي سيتعفى يوماً.

دفعه أركان بما تبقى له من قوة وصرخ بصوت

مضطرب من البكاء تصدر منه شهقة مع كل كلمة يقولها:

_كيف سيتعافى؟ يا سليم كيف؟ كلما أغمض عيني، أجدها

أمامي، أشعر أن شيئاً ثقيلاً يجثم على قلبي، حتى مجرد

التنفس يؤلمني.

عانق سليم صديقه وبكا سويا واحترق معه بنار الفراق.

"توقع أي شيء من أي شخص، الثقة قاتلة"

أغلق العم سعيد دكانه ولوح لرجال في المقهى المجاور

بابتسامة لطيفة ثم سار في الحي يضع يديه خلف ظهره،

يسلم عليه كل من مر بجانبه، وهو في كل مرة يبتسم

واضعاً يده على قلبه احتراماً لكل من يسلم عليه ثم دخل
زقاقاً مقفراً والتفت خلفه ثم بدأ يحث الخطى، وقد تغيرت
نظراته، إلى أن وصل إلى سيارة سوداء بجانبها رجل
يرتدي ملابس رسمية، قدم عكازاً ذهبياً، ثم فتح له الباب
الخلفي. بينما جلس هو إلى مقود السيارة، وقبل أن يشغل
المحرك، قدم صندوقاً أسوداً صغيراً إلى العم سعيد، الذي
فتحه وأخرج منه خاتماً بنقش عقرب، وضعه في إصبعه
وهو يبتسم ابتسامة شر ثم انطلقت السيارة وفي القصر
جلس أركان عاري الصدر يدور لعبة السبينر بين يديه،
كانت هدية من أكثر شخص كرهه في هذه الحياة، والده
الحقيقي ولم تكن هي الهدية الوحيدة إذ ألقى نظرة على
كتفه ثم واصل النظر إلى اللعبة وهي تدور بسرعة حتى
سقطت من يده، وتزحزح هيكلها ليلوح شيء عالقاً داخله.
التقط أركان اللعبة من الأرض وتردد قليلاً قبل أن يحطمها

على الحائط، وتتكسر لتخرج منها ورقة مطوية حدق
فأخذها وقرأ محتواها واتسعت عيناه حتى كادت تفر من
محجريهما وهي تقرأ تلك الكلمتين "والدتك قتلت"
ثم اقترب من الواجهة الزجاجية أمامه وظل ينظر إلى
إسطنبول، التي تتلأأ أضواؤها الساحرة تفيض من عينيه
الكره والحقد ورغبة عارمة في الانتقام وذلك الزجاج
يعكس وشم العقرب في كتفه.

تمت بفضل الله